وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسل:.....

مذكّرة تَخَرُّج لِنَيْلِ شَهَادة المَاستر

الميدان:لغة وأدب عربي
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصّص:أدب ومجتمع جديد

العنوان

سمات الحداثة في رواية " الخابية"

لجميلة طلباوي

. إعداد الطالبتين:
كريمة بن عودية
كهينة غزال

إشراف الأستاذة:
سمش الدين شرقي.

لجنة المناقشة:

عمر بن دحمان	أستاذ محاضر صنف "ب"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسا
سمش الدين شرقي	أستاذ مساعد صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفا ومقررًا
شامة مكلي	أستاذ مساعدة صنف "ب"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	عضوا ممتحنا

السنة الدراسية 2017/2016.

شكـــــــــر وعرفـــــــان

نحمد اللّه ونشكره على نعمة العقل والصّحة والتوفيق الّتي لا تكون إلاّ منه،

نتقدّم

بالشكر والتقدير إلى الدكتورة المشرفة " آمنة بلعلى "

على نصائحها القيّمة وتوجيهاتها، الّتي أنارت لنا دروب البحث،

ونتوجّه بالشكر الجزيل إلى كلّ أعضاء

المناقشة الّذين تكرّموا بقراءة هذا البحث المتواضع وإثرائه وتقويمه بتوجيهاتهم،

إلى

كلّ من مدّ لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

إهـــــــــــــداء

أهدي عملي هذا إلى:

من علّمني الأدب والشرف وغرس بذرة الثّقة ودعمني ماديا ومعنويا " **أبي** "

مدرسة في الحياة فؤادها معطاء ينبوع صفاء " **أمي** "

أخي " **مصطفى** " وزوجته وأبنائه " **سعيد، تنهنان، مليسا، أميرة** ".

جميع أخواتي " **نصيرة، ليندة، حدة** "، والغالية " **فازية** "

" **جدّتي** " أطال اللّه في عمرها و إلى من أحبّهم من قريب و من بعيد.

زوجي "**فريد**" وكل أفراد عائلته.

كل من علّمني حرفا في كل مرحلة من مراحل دراستي.

صديقتي وزميلتي في البحث " **كريمة**".

كهينة

إهـــــــــــــداء

أهدي عملي هذا إلى:

أبي الذي كان لي دوما سندا وعونا .

منبع الحنان **أمي** التي عانت الكثير من أجلي.

جدي و**جدتاي** أطال الله في عمرهم.

قرّة عيني **إخوتي** و**أخواتي**.

زوج أختي " **حكيم**".

أبناء أخواتي " **كريم** " والكتكوت " **أمياس** ".

ابنة أخي " **أنايس**" التي رافقتني طيلة رحلة البحث .

إلى جميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم القيمة.

إلى جميع الأصدقاء والصديقات.

صديقتي الوفية و المخلصة " **كهينة**"

إلى عمال المكتبة الذين لهم الفضل الكبير في إتمامنا لهذا للبحث.

كريمة

مقدمة:

شهدت الساحة الجزائرية عدّة تحوّلات خطيرة بعد الاستقلال فكانت الرواية متنفّسا للعديد من الكتّاب لصب آمالهم وهمومهم وكلّ ما يشغل بالهم، فنجد الرواية المكتوبة باللّغة العربية بالرّغم من أنّها حديثة النّشأة إلى أنّها لاقت رواجا وإقبالا كبيرا من قبل القرّاء، كيف لا وهي رواية اجتماعية بالدّرجة الأولى، كما أننا نجد صداها وصل إلى خارج الوطن، وقد برزت مكانتها في الساحة الأدبية العربية وحتى الغربية، بإنتاجها الغزير والوفير.

لا تزال الحداثة من المواضيع الشائكة والمعقّدة التي تستهوي الباحثين والنقاد والمفكرين في العالم العربي ولهذا اتجهنا في بحثنا هذا إلى دراسة للرواية الجزائرية النسوية الحديثة، والموسومة بـ " الخابية" لجميلة طلباوي، هذه الرواية التي تم إصدارها حديثا، فرغبة في البحث فيما هو حديث جاء اختيارنا لهذه الرواية لعدة أسباب منها : إعجابا بالرواية لأنّها حديثة النّشأة ولم يتم دراستها من قبل، فنحن فطرنا على حب المغامرة واكتشاف الجديد والحديث، كما أنّها رواية تساير العصر الحالي الذي نعيشه، وتحكي عن أماكن معروفة في بشار فألهمتنا وشوّقتنا لدراستها. وهي رواية جديرة بالاهتمام تصلح لأن تكون إرهاصات لقضايا حداثية.

واتبعنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي التحليلي في التعرّض لأهم الكتاب والنقاد الذين تعرّضوا للحداثة.

ولقد صغنا إشكالية البحث استنادا إلى بعض الأسئلة من قبيل:

- كيف كانت إرهاصاتها في العالم الغربي والعربي ؟
- ما هي معوّقات الحداثة العربية؟
- ماهي سمات وأسس الحداثة ؟
- ما ماهية الحداثة الأدبية ؟
- كيف تتجلى سمات الحداثة في رواية الخابية؟

كل هذه الإشكالات حاولنا الإجابة عنها بتوصيف منهجي ابتدأناه بـ "**مقدّمة**"، و"**مدخل**" و"**فصلين**" ثم ختمناه بـ "**خاتمة**"، أمّا **المدخل** فكان عنوانه: **مصطلح الحداثة**، فاستهللناه بـ "**مفهوم الحداثة**" في "**اللّغة**" و"**الاصطلاح**"، ثم "الحداثة "**كمصطلح غربي**" ثم "**كمصطلح عربي**".

أمّا الفصل الأوّل الموسوم بـ: "**قضايا الحداثة**" أدرجنا فيه:

- الفرق بين الحداثة والتحديث.
- التميز بين الحداثة والنّهضة.
- أهم المعوّقات التي واجهت الحداثة العربية.
- الحداثة في الأدب عند كل من الغرب وعند العرب.
- أسس الحداثة.
- سمات الحداثة.

أمّا **الفصل الثاني والمعنون بـ:** " **تجليات الحداثة في الخابية** تندرج تحته العناصر التالية:

- تقديم الكتاب.
- التعريف بالكاتبة وأهم أعمالها.
- تلخيص الرواية.
- تجليات الحداثة في رواية الخابية وهي:
- الحيرة والشك والقلق والاضطراب.
- الثورة على القديم وتحطيم جميع أطر الماضي.
- تمجيد الرذيلة والفساد.
- تعدّد الصوات.
- التناص.

أمّا "**خاتمة البحث**" فقد تضمت مجموعة من النتائج التي توصّلنا إليها بعد هذا الجهد المتواضع الذي نأمل أن يكون فائدة للآخرين.

ولكي تحقق هذه الدراسة هدفها المرجو اعتمدنا على المراجع الأساسية التالية والمتمثلة في:

- محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة.
- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل.
- محمد محفوظ، الاسلام ، الغرب وحوار المستقبل.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياتها وابدالاتها (مساءلة الحداثة).

وغيرها من المراجع التي اعتمدنا عليها لإتمام هذا البحث.

وقد اعترضتنا في انجاز البحث بعض الصعوبات، التي زادتنا عزيمة على استكمال بحثنا والانتصار على كافة العقبات التي وجدناها في طريقنا وتحقيق النتائج المرجوة، ومن هذه الصعوبات صغر حجم المدونة والمتمثل في تحديد عدد الصفحات من قبل الإدارة، فكثرة وتشعّب الأفكار التي أردنا تطبيقها وكثرتها أوقعنا في مشكل الانتقاء والذي هو صعب كثيرا فكل الآراء مهمّة، وكذلك الخوف من الوقوع في التكرار، بالإضافة إلى قلّة المراجع في مكتبة المعهد كون هذا الموضوع جديد بالنسبة لنا مما صعّب علينا مهمّة البحث، بالإضافة إلى أنّ ضيق الوقت الذي حُدّد لنا لاستكمال المذكرة.

وفي الأخير، نشكر كل من ساعدنا في إتمام هذا البحث، كما نشكر لجنة المناقشة على الملاحظات والتصويبات التي سيقدمونها إلينا – وبالله التوفيق – .

1- مفهوم الحداثة:

يعد مفهوم الحداثة من المصطلحات الشّائكة والمعقّدة نجدها صعبة التحديد سواء على المحدثين أم القدماء من النّقاد والمفكّرين، فعند محاولتنا لتعريف هذا المفهوم نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات يحيط بها نوع من الغموض والاختلاف، ونحن سوف نعرج أوّلا عن المفهوم اللّغوي وهذا ابتداء لعرضنا لبعض المعاجم العربية التي تعرّضت لهذا المصطلح.

أ- لغة:

يقال حدث وشابة حدثة، فتيّة في السّن، والحدث من أحداث الدّهر شبه النّازلة والأحدوثة، الحديث نفسه. الحديث: الجديد من الأشياء"[1]

كما نجد الزّمخشري تعرّض لمصطلح الحداثة فنجده يقول: " حدث: هو حدث الأحداث، وحديث السّن {...} وأحدث الشيء استحدثه.[2] من هذين المفهومين نلاحظ أنّ معنى الحداثة عند كليهما هو نفسه أي الجديد.

أمّا ابن منظور فيرى " حدث، الحديث: نقيض القديم، والحدوث نقيض القُدمة، وحدث الشيء يحدث حدوثًا وحداثة، وأحدثه هو فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه (...) والحدوث كون شيء لم يكن، وأحدثه اللّه فحدث، ومحدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء، كان السلف الصالح على غيرها"[3]

والزبيدي عرّفها أيضا فقال: " الحديث: نقيض القديم (...) والحدوث كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه"[4] فمن هذه التعاريف إذن نجد أنّ

---

[1]- **الفراهيدي، كتاب العين،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.**

[2]- **الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، 1998، ص 172.**

[3]- **ابن منظور، لسان العرب، ج2، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990، ص 131.**

[4]- **الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 3، دار الفكر، بيروت لبنان، 1994، ص 189، 190.**

الحداثة تصبّ كلّها في معنى واحد ألا وهو الجدّة اي عكس القديم، والحديث هو كل ما لم يكن معروفا سلفا، والحداثة تعني إذن الجدة والابتكار والاتيان بكل ما هو جديد.

ب- اصطلاحا:

عرّف جبور عبد النور الحداثة فقال: " هي جدّة، إتيان بالشّيء الذي لم يؤت بمثله من قبل ويتحرر من إسار المحاكاة، والنقل، والاقتباس، واجترار القديم، وقد تتمثل الحداثة في الأسلوب، أو في المضمون، أو في الاثنين معا، فيكون صاحبها مبدعًا وخالق مذهب جديد مطبوع بسمته المميّزة"[1] فالحداثة تعني عنده الاتيان بكل الأشياء الجديدة الغير موجودة سابقا، أي عدم الاجترار في الموجود والتكرار والاتيان على نفس المنوال، كما أنّ الحداثة ترفض الخضوع للمحاكاة أو التقليد للسائد، وهذه الحداثة نجدها في الشكل أو في المضمون أو فيهما معا أي في الشكل والمضمون ويعرّفها "مراد وهبة" بـ " قال "**جيليوس**"، إنّ الوعي بالحداثة نشأ في العصر الوسيط، وكان المصطلح اللاتيني **Saeculum Modernorum**، أمّا الصفة **Modernus** فقد ظهرت في القرن السادس عشر، وترد إلى لفظ **Mode**، أي المعيار أو المقياس، وفي القرن السابع عشر قامت مشاجرة بين السلفيين والمحدثين، وقد نشأ اللّفظ الفرنسي في القرن التاسع عشر عند **شاتوبريان** (1849)"[2] يبدو هذا التعريف تاريخي إذ طرح مسألة الحداثة منذ نشأتها ومن أي اشتقت من أصولها الاتينية.

وقد تطرّق إلى تعريفها "**محمد بوزواوي**" قائلا: **Modernisme (موديرنيزم)** تعني: " الجدة، ومواكبة العصر في مجالات الفكر ولا سيما في حقول الابداع الأدبي

[1]- **عبد النور جبور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1979، ص 92.**

[2]- **مراد وهبة، المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 269.**

والفكري والفني (...) وغالبا ما توضع الحداثة مقابل النزعة التراثية، ولطالما إشكالية العلاقة بين الحداثة والتراث"[1] نلاحظ أنّ "محمد بوزواوي" تطرّق إلى مفهوم الحداثة من جهة الأدب أولا فقال أنها تتجلى في الاتيان بالجديد في مجال الفكر والأدب، ثم وضعها في تقابل مع التراث أي أن الإشكال عادة ما يطرح حول الحداثة والتراث، والحداثة ارتبطت بمجالات عديدة، ففي المجال السياسي، تتمثّل في الديموقراطية، والتعبير عن حرية الفرد والمجتمع في اتّخاذ قراراته، كونها تعتبره واعيا ومسؤولا عن أفكاره، وأفعاله، فبالإضافة إلى ظهور منظمّات ونقابات وأحزاب...، أما اقتصاديا، فقد اتّخذت الشكل الرأسمالي المتمثّل في الرّبح السّريع، والذي يهدف إلى التخلّص من الرقابة الأخلاقية والاجتماعية عبر فتح مجموعة من الأسواق، لتصرف المنتوجات الصناعية والفلاحية بهدف الربح، أما اجتماعيا فقد تجسّدت في خوصصة المدارس والمستشفيات، ظهور أنماط الاستهلاك، كما نجد هناك نوع من التغيير في التقاليد والعادات، ثم الانتقال من الأسرة النووية، إلى جانب خروج المرأة للعمل.

[1] – **محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، الجزائر، 2003، ص 104، 105.**

2- الحداثة عند الغرب:

تعتبر الحداثة غربية المنشأ، فهي غربي المنشأ فهي مصطلح عرف في العصر الحديث، وقد اختلف النّقاد حول سنة ظهورها، فهناك من يرجعها إلى ما بعد سنة 1453م سنة سقوط القسطنطينية"[1] فالعالم الغربي في هذه الأثناء كان يمر بفترة عصيبة وحالكة وإصلاحات دينية، وفي هذه الفترة عمّ الجهل بسبب سيطرة رجال الكنيسة على كل أنواع الأنشطة الفكرية والوعي، فكان لرجال الدّين السّلطة والحكم في كل شيء، فكانوا يصادرون الأملاك ويقضون على الأدمغة وكل من يحاول إثبات ذاته أو إثبات ما يخالف معتقداتهم أو يأتي بجديد لا يخدمهم ولا يخدم الكنيسة، ولهذا أتت الحداثة كرد فعل على هذه الأفعال الشّنيعة إزّاء الفرد المظلوم، فهي "ردّة فعل على الكنيسة اللاهوت والاعتراف بثنائية العقل الإلاهي والعقل البشري وإلغاء الوساطة بين الاله والانسان من خلال الكنيسة"[2] فالحداثة إذن أتت لتعيد الاعتبار للإنسان وتعترف بعقله البشري وعقله الإلاهي دون أيّ وسيط أي غيّبت الكنيسة وألغت دورها في علاقة الانسان بإلهه.

فالحداثة كمصطلح بدأت مع " عصر الأنوار بفعل أولئك الذين أظهروا وعيا وبصيرة باعتبار أنّ هذا العصر هو حد فاصل ومرحلة نهائية من التاريخ"[3] فتأسست أثناء البحث عن عالم مثالي خال من الظلم واللّامساواة.

وهذه الحداثة لا نلمسها في بلد غربي معيّن بل امتدّت إلى عدّة أقطار فنجدها في روسيا وباريس وأمريكا ولندن وموسكو...إلخ. فهذا الانتشار خير دليل على أهميتها فمن غير المعقول أن ينتشر ما هو ليس جيد.

---

[1]- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياتها و إبدالاتها (مساءلة الحداثة) 4، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 158.

[2]- محمد محفوظ، مفهوم الحداثة، قراءة تاريخية، الكلمة، مجلة ثقافية إسلامية تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت ، ع15، 1997، ص 44.

[3]- المرجع نفسه، ص 44.

لمّا تخطى العالم الغربي هذه المرحلة أو فترة العصور الظلامية أصبح للحداثة مفهوم آخر عند الغربيين، فأصبحت تعني التقدّم.

كما أنّ هذه الحداثة نجد معالمها ظاهرة في شتى المجالات ولا تخدم مجال واحد فقط، " الحداثة لا يمكن اختزالها في مفهوم سوسيولوجي، أو سياسي أو حتى تاريخي"[1]

" ومن ثم فالحداثة لا تعبّر فقط عن واقع التغيرات التقنية، العلمية والسياسية التي وقعت في العالم الغربي، وإنّما تدخل كذلك ضمن لعبة العلامات والعادات والثقافات التي تكشف التحولات البنيوية على صعيد الطقوس والسلوكات الاجتماعية"[2] ومن هنا نستخلص أنّ الحداثة تمس حياة الفرد بأكملها ابتداء من حياته النفسية والاجتماعية إلى السياسية والتاريخية... فالحداثة حاضرة في جل مناحي الحياة.

وقد أطلق مصطلح الحداثة بوجه خاص على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النّهضة إلى اليوم ويغطي مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية"[3] فالتقدّم الذي شهدته المجتمعات الغربية ومظاهر الحياة فيها والثورة التكنولوجيا والعلوم في حياة الفرد والمجتمع أسفر عن انهيار المعايير والقيم الثقافية التقليدية وبالتالي ظهور الحداثة بصفتها ممارسة اجتماعية ونمطا من الحياة يقوم على الابتكار والتغيّر.

3- الحداثة عند العرب:

صحيح أنّ الحداثة غربية المنشأ لكن هذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا الحداثة أو لم يتعرفوا عليها، فهي دخلت البلاد العربية دون سابق إنذار " لم تستشرنا الحداثة، ولم تطلب رأينا قبل أن تدهس بابنا لأنّها لم تسلك يومًا وفق منطلق الاستشارة والاختيار فهي

---

[1]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب،ط2، 1998، ص 110.

[2]- المرجع نفسه، ص 111.

[3]- آلان تورين، نقد الحداثة، تر.أنور مغيت، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة، 1992، ص 16.

أشبه بنهر هائج وكاسح لا يبقى ولا يذر، يجرف كلّ شيء في طريقه"[1]فهذا يعني أن الحداثة انتقلت إلى البلاد العربية فاصبحوا يعيشونها ويتعايشون معها هذا بغض النّظر عن كيفية وصولها إليهم، فهم لم يؤسّسوا لها فهي مفروضة عليهم من قبل الغرب، فهي دخيلة على العرب وهذا بالاختلاط الاجنبي إمّا بالذّهاب إليهم أو بمجيئهم أنفسهم إلى العرب وهذا ما نجده في الحروب مثلا وهكذا ترسّخت معالم الحداثة الغربية في البلاد العربية، فهي " حداثة برّانية وليست جوّانية لأنّها لم تنشأ وتترعرع في هذه التربة العربية، بل ترافقت مع الاستعمار ومع الدخول الأجنبي"[2]

وعن قبول العرب للحداثة وما جاء به الغرب انبثقت ثلاثة مواقف وتيارات يمكن ايجازها فيما يلي:

أ- موقف يقبل الغرب قبولا مطلقا:

يرى أصحاب هذا الموقف أنّ التّقدّم الفعلي والنهائي للشعوب يكمن في قبول كل ما تدعوا إليه البلاد الغربية، فإذا أراد العالم العربي أن يلتحق بركب التقدّم فما عليه سوى التسليم المطلق لما يأتي به الغرب " فإذا أرد العالم العربي والاسلامي، أن يتقدم ويلحق بالركب الحضاري فلا بد أن يقبل بكلّ شيء يأتي إليه من الغرب، ويرفض كلّ موروثه الثقافي، والاجتماعي والحضاري"[3]

---

[1]- محمد سبيلا، الحداثة و ما بعد الحداثة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2000، ص 91.

[2]- المرجع نفسه، ص 91.

[3]- محمد محفوظ، الاسلام ، الغرب و حوار المستقبل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،1998 ص 18.

ب- موقف يرفض الغرب رفضا مطلقا:

إنّ أصحاب هذا التيار يرفضون الخوض مع الغرب رفضا مطلقًا " لذلك فبداية الحل الصحيح هو غلق الباب على هذه الحضارة ورفضها بالكامل"[1] فالرّفض هنا جاء جرّاء ما فعلته الدّول الغربية بالبلدان العربية، فهي المسؤولة في ما آلت إليه من دمار وخراب وحرمان، جرّاء الحروب، كما أنّها عدوّ حضاري للبلدان العربية فهم يحاربون خصوصيتهم وتراثهم فكيف للعرب أن يقعوا تحت سيطرتهم مرة ثانية وبإرادتهم فيكونون تحت رحمتهم ويقعون في التبعية لهم.

ج- موقف معادل:

إن أصحاب هذا الموقف لم يرفضوا ما دعت إليه البلدان الغربية ولم يتقبّل ما جاءت به بثقة عمياء إلى حد طمس هويتهم والتّخلي عن قيمهم وتراثهم والذّوبان في منظومتهم الحضارية، وهذا الموقف المعادل يرى أصحابه أنّه يجب ومن الأجدر الاستفادة من البلدان الغربية في كلّ ما هو جيّد ويخدم مصالح العرب عامة، كالوسائل التكنولوجية والعلوم والطرق والأساليب الحديثة... وهكذا لا يندمج مع الآخر وينفصل عن ذاته" فالواجب أن نأخذ ما يحقّق ذاتنا الحضارية ولا يلغي خصائصنا المجتمعية والثقافية والنفسية"[2]

" لذلك فإنّ حجر الزاوية في عملية التوفيق أو الانفتاح الواعي هو الحفاظ على ذاتنا الحضارية وانتمائنا المتميّز بما تتضمّن هذه الذّات والانتماء من تاريخ وقيم وانطلاقا من هذه الذاتية نتعامل مع الآخر[3] إنّ هذا الموقف يبدو عادلا بعض الشيء فلا يجب أن نبالغ في أخذ معالم الغرب إلى حد طمس الشّخصية الوطنية فإذا زاد شيء عن حدّه انقلب إلى ضدّه، ولكن هذا لا يعني أن العرب لم يأخذوا من الغرب شيئا أو لا يجب أن يأخذوا فقط يجب أن لا يبالغوا في الأخذ.

---

[1]- **محمد محفوظ، الغرب و حوار المستقبل، ، ص 18.**

[2]- **المرجع نفسه ،ص 19.**

[3]- **المرجع نفسه، ص 20.**

ومن خلال هذا الجدول[1] سوف نتعرّف على الفروقات الموجودة بين الحداثة الغربية والحداثة العربية:

الحداثة الغربيـــــة	الحداثة العربيـــــة
مغامرة في المجهول	عودة إلى المعلوم
تؤكّد على الأنا–الذّات	تؤكّد على النحن–الأمّة
الإبداع مرجعتيها الوحيدة	مرجعياتها متعدّدة
نوع من المناجاة	صلاة إلى القبيلة أو الحزب أو الايديولوجيا
تعيش في عالم انتصر على الديني لا يخضع لأيّ مقدّس أو رمز ديني	تعيش في عالم تسيطر فيه المؤسسات والرّموز الدينية
تساؤل وشك	يقين وتسليم
انفتاح ولا نهائية	مذهبة وانغلاق
تتأسّس على البعد، النّقدي والحركية	تتأسّس على بعد القبول والخضوع
فرادات	أنساق
انفجار معرفي همّشت فيه الرّؤية الدّينية	هامش صغير في متن تسيطر عليه وتوجّهه الرّؤية الدّينية
تعدّد واحتمالات	واحديّة، مبدأ مؤسّس وحيد وحقيقة واحدة
تتحرّك في عالم أمات مفهوم اللّه وأحيا الإنسان	تتحرّك في عالم، فيه الإنسان ميّت واللّه وحده الحي
تفترض في الذّات وفي من تخاطبه الحيرة والغموض والشّك	تفترض في الذّات وفي من تخاطبه الوضوح والايمان واليقين
تصدر عن قيمة ترد إليها جميع القيم، قيمة تهيمن على وعي العصر وتوجّهه	هي هامش ومنبوذة ولا تعيش إلا بفضل التصدّعات القائمة في المجتمع العربي
هي دنيوية	هي دينية

[1]– **منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص: النقد العربي و مصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة،2012 /2013، ص105.**

إنّ هذه الفروقات يمكن أن تزيل شيء من اللّبس بين مفهومين اثنين متداخلين، ولم نرد التفصيل فيها لأنّ الأمر قد يستغرق عدّة صفحات، بما يُخرج البحث من مسلكه الذي حدّدناه.

1- الحداثة والتحديث:

إنّ مصطلحا الحداثة والتحديث متداخلان إلى درجة أنّ الكثير يعبّر عن الحداثة بالتّحديث، وعن التّحديث بالحداثة، ولكن في الحقيقة هناك حدود فاصلة بين هذين المفهومين «يبدوا أنّ مصطلح الحداثة وكأنّه نص مفتوح على كلّ مضامين التقدّم المعاصر، بحيث أنّك لا تفرّق بشكل صارم بين مضمون مصطلح الحداثة وبين مضامين التحديث والتقدّم والعصرية أو التجديد.»[1] فكلا المصطلحان يحملان نفس الدلالات والمفاهيم فتداخلا لحد عدم تمكن الكثير من التفرقة بينهما.

وقد ميّز **محمّد أركون** بين الحداثة والتحديث في كتابه الاسلام والحداثة حيث قال: «الحداثة موقف للرّوح أمام كلّ المناهج التي يستخدمها العقل للتوصّل إلى معرفة ملموسة للواقع، أمّا التحديث فهو مجرد للتقنية والمخترعات الحديثة إلى الساحة العربية أو الاسلامية، نقصد إدخال آخر المخترعات الأوروبية الاستهلاكية، وإجراء تحديث شكلي أو خارجي، لا يرافقه أيّ تغير جذري في موقف العربي المسلم للكون وللعالم»[2] ومن هنا نفهم أن الحداثة هي عملية الابتكار والاختراع في حد ذاتها أي كل العمليات العقلية التي تؤدّي إلى التغيير في جميع المجالات، أمّا التّحديث فهو استخدام هذه التقنيات جاهزة من أجل تحسين حياة الفرد، وهذا ما يحدث في العالم العربي، فهذا الأخير بصدد التّحديث وليس الحداثة، فالتحديث مظهر من مظاهر الحداثة فمثلا في الجزائر يكمن التحديث في استيراد السيارات والخبرات والمعامل، فقد كان بإمكانها أن تعيش حداثة حقيقية لو أنّها قامت بصناعة السيارات وبناء المصانع والمخابر الكيميائية والفيزيائية، ولهذا تسند الحداثة إلى الدّول الأوروبية لأنّها مهد الاختراعات والابتكارات، إذن الحداثة هي الابتكار والانتاج والتصنيع أما التّحديث فهو استيراد تلك الحداثة أي المخترعات دون التغيير من هيئتها وشكلها.

---

[1]– **محمد محفوظ، الإسلام، الغرب و حوار المستقبل، ص 27.**

[2]– **المرجع نفسه، ص 45.**

فالتحديث في التجربة العربية يأخذ طابع المحاكاة الجوفاء لمظاهر المدينة في الغرب، ونماذجه الحضارية، وهذه المظاهر لا تنم على حالة حضارية، أو حداثية تنبثق من صميم المجتمع، وتتكوّن في رحمه الحضاري، وغالبا ما يظهر أنّ هذه النّماذج الحضارية تتعارض مع النّسق الحضاري العربي في أصوله وتجلياته الذاتية، وهذا يعني أن استجلاب مظاهر الحداثة من الغرب، قد يؤدي إلى مزيد من الضياع والاحتضار، وقد يعني ذلك، وهذه هي الحالة على الأغلب في عالمنا العربي، تعايش منظومتين اجتماعيتين متنافرتين في آن واحد هما: مجتمع تقليدي يمارس ياته وفق معايير، وقيم تقليدية، ومجتمع حداثي يعيش وفق أحدث المعايير العصرية دون أن يتمثل روح هذه المعايير، ويتشرب من تدفقاتها الذاتية، ووفقا لهذا التّصور، فإنّ التحديث العربي في التاريخ المعاصر يأخذ صورة متناقضة مع الحداثة الحقيقية.

2- النهضة والحداثة:

يعتقد الكثير بتطابق مفهوما النهضة والحداثة، فأحدهما يعادل الثاني وهذا بحكم أن كلاهما يعرفان بهيمنة العقل، إلاّ أن الباحثون يرون أن هذان المصطلحان مختلفان رغم صعوبة التّفرقة بينهما، وفي هذا السّياق نجد برهان غليون ميّز بينهما في قوله «ما يميّز النّهضة عن الحداثة هو أنّ الحداثة تجري بشكل تلقائي ويومي، وتتجسّد في انتقال أنماط الحياة والسّلوك والإنتاج الغربية دون التّمييز إلى المجتمع العربي. وليست جميع هذه الأنماط دلالة حقيقة على الحضارة وأسسها، فالنّهضة كنظرية في الولوج إلى الحضارة تحدّد أولويات وتصيغ استراتيجية للعمل الجماعي، وبمعنى آخر أنّ النّهضة كنظرية ليست إلّا محاولة لعقلنة هذه الحداثة العامة والدّاخلة حتما إلى الحياة العربية، ومن الطبيعي أن تعني هذه العقلنة إخضاع الحداثة، إضافة إلى المعايير العقلية، إلى معايير اجتماعية وأخلاقية»[1]

فالنّهضة تؤكّد على أولوية التّغيير والتّحويل، أي التّغلّب على الانحطاط «النّهضة هي المرحلة التاريخية الضرورية التي تسبق مرحلة المدنية والحداثة، كما انّ الوعي الذي ينتج على

[1]– **برهان غليون، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، د.ط، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، 1987، ص 184.**

قاعدة النّهضة، يختلف اجتماعيا وعند الممارسة عن الوعي النّاتج انطلاقا من قاعدة الحداثة»[1] أي التّغلّب على الانحطاط، وهذا التّغيير يقتضي بالضّرورة الثّورة على الوعي القائم وعلى منظومة القيم التقليدية السّائدة.

أمّا الحداثة التي لا تسبقها نهضة فهو انعكاس للذّات الغربية. «لا تفاضل بين مشروعي النّهضة والحداثة ، وإنّما نقول أنّ الغرب لم يصل إلى مرحلة الحداثة إلاّ بعد مرحلة النّهضة»[2] فالمجتمعات لا يمكن لها أن تعرف الحداثة إلاّ بعد المرور من مرحلة النّهضة فهي مرحلة سابقة لا يمكن التّخلي عنها والقفز مباشرة إلى الحداثة فالنّهضة هي الافتتاحية للوصول إلى الحداثة.

3- معوّقات الحداثة العربية:

إنّ مشروع الحداثة هناك من يرى بأنّه قد فشل في العالم العربي، وهذا لأنّ الحداثة العربية واجهتها عدّة عوائق جعلتها لم تلتحق بالحداثة الغربية «أبرز عائق حقيقي للحداثة العربية في جميع مستوياتها هو طبيعة الفكر السّائد والثقافة المهيمنة في المجتمعات العربية التي ترفض كلّ تحوّل أو تغيير في بناها الأساسية»[3] وهذا لأنّ العالم العربي مازال متمسّكا بثقافة الماضي، ومجموعة من الأفكار والقيم والأساليب في المجتمع العربي، فلكي يعيش الفرد الحداثة الحقيقية يجب أن يغيّر ما بنفسه وذاته أوّلا أي ابتداء من فكره «يرى أدونيس أنّ الفكر العربي السّائد المنغلق المتحجّر الرّافض لأيّ تحوّل أو حركة أن يستوعب أيّ عنصر من عناصر الحداثة»[4] فأدونيس هنا يدعو إلى الحركة والتغيّر من أجل بلوغ مرتبة قصوى في الحداثة، فالمشكل يكمن في الفرد الذي يرفض التفتّح والانتقال من الأوضاع السّائدة القديمة الماضية إلى الجديدة المعاصرة، «إنّ الذّهن العربي السّائد يرى أنّ الحداثة أو الحديث لا

---

[1]- محمد محفوظ، الاسلام، الغرب وحوار المستقبل، ص 47.

[2]- المرجع نفسه، ص 49.

[3]- منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، ، ص 108.

[4]- المرجع نفسه، ص 108.

يجيئان من الذّات، وإنّما من الآخر الأجنبي، ذلك أنّ وراء القول بالحداثة والتّحديث دعوى الاتيان بشيء لم تأت به الرؤية العربية، وهي إذن دعوى تتهم الرّؤية بالنّقص وتشكّك في صحّتها، هكذا تتحدّث عن ظاهرة وعن مفهوم ينبذهما جوهريا النظام المعرفي الذي نكتب بلغته، ونمارس قيمه، ويؤسّس لحياتنا وفكرنا، عنيت الحداثة والتّحديث.»[1] يكمن المشكل أو الإشكال، في منظور أدونيس، في الفرد العربي في حدّ ذاته وليس في الحداثة، هذا الفرد الذي بقي في قوقعة زمان مضى، ولا يريد الخروج منها فهو بذلك يدور في حلقة مفرغة، وهذا راجع إلى شعوره بعقدة النّقص اتجاه الأوروبي، لهذا أسلم له الأمر في كلّ شيء، وبقي هو يستهلك فقط ويستورد عوض أن ينتج ويحدث نقلة نوعية في كل مجالات حياته، فتصبح بذلك للحداثة العربية شأنها شأن الحداثة الغربية.

> «لقد تعطّلت محاولات التحديث في العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وتعود تلك العطالة إلى جملة عوامل بنيوية تاريخية واقتصادية وثقافية وسياسية ولكن العامل الأهم تمثّل– على الخصوص – في اعتقاد من تنطحوا لقيادة التحديث أنّها مجرّد توطين المنتجات والمنجزات المادية للحداثة في البيئة العربية، دون الاهتمام الكافي بإعادة بناء المجتمعات العربية بالاستفادة من معطيات الحداثة ومكوّناتها العقلية التي تضمن توطين قيم الحداثة في التربة العربية.»[2]

لم تبلغ الحداثة العربية ذروتها لعدّة عوامل فمنها التاريخية السياسية والتي بدأت منذ الوعود البريطانية الكاذبة التي قدّمتها للدّول العربية بمساعدتها ودعمها بشرط إذا ما تحالفت معها في الحرب ضد الدّولة العثمانية، فبدل أن تقوم الدولة العربية سقطت الأقاليم العربية في المشرق العربي واحدة تلوى الأخرى في يد الاستعمار البريطاني الفرنسي، ونفس الأمر بالنّسبة إلى دول المغرب العربي، كما نجد الصراع العربي الاسرائيلي أحد أهم عوائق التنمية والتطوّر

[1]– المرجع نفسه، ص 107، 108.

[2]– عبد الله تركماني، أسس الحداثة و معوّقاتها في العالم العربي المعاصر، الحوار المتمدن، ع 2763، 2009/9/8.

في العالم العربي، أما الجانب الاقتصادي فبسبب النزوح الريفي إلى المدن الذي أدى إلى تدهور قطاع الزراعة وارتفاع أسعار المواد الأساسية والخدمات المستوردة، الأمر الذي أسفر عن التبعية الزائدة للخارج وضعف الاستثمار وبالتالي نزوح الأموال العربية نحو الخارج، والجانب الاجتماعي أيضا له دور في عدم وصول العرب إلى الحداثة الفعلية وهذا بالبطالة التي يعاني منها شعب هذه البلدان، وكذلك سيطرة الرجل على المرأة فقتل فيها روح المبادرة والمشاركة والتفاعل في المجتمع فغيّبها وغيّب دورها الفعّال في بناء المجتمع.

أما الجانب الثقافي فنمثل له بهجرة الأدمغة المبدعة للخارج وذلك لعدم اهتمام الدول العربية بهذه الفئة فنجد الدول الأوروبية تنتهز الفرص وتحمي هؤلاء الأشخاص فتتركهم تحت حمايتها ووصايتها فيصبح بذلك منتوج أوروبي وفي الأصل هو عربي لأن من شروط الابداع أن لا يكون الابداع تحت وصاية أية دولة. أما المشكل الحقيقي الذي وقعت فيه البلدان العربية وأدى إلى عدم وصولها إلى الحداثة فيكمن في كونها تستورد المنتجات الأوروبية الحديثة دون أن تغيّر منها أو تفعّلها في إنتاجها الخاص.

4- الحداثة في الأدب:

أ- في الأدب الغربي:

إذا أردنا الحديث عن الحداثة الأدبية في الأدب يكفي أن نعود إلى عدّة نقاد ومفكّرين كان لهم صدى ظاهر في السّاحة النّقدية والأدبية والشعرية الغربية وأوّلهم "**إدغار آلان بو**" الذي تأثّر به كلّ من "**بود لير**" و"**رامبو**" و"**ملارميه**" و" **فاليري**" و" **موبسان**" الذين يعتبرون من المؤسّسين الأوائل ومن الرّموز التاريخية للحداثة من خلال كتاباتهم النظرية.

1- بود لير: يعد بود لير من مؤسّسي الرّمزية الفرنسية، فحداثته تتجلى في الثورة على الواقع وتدعو إلى الابتكار والكشف والغموض «لأن البحث عن الحقائق لم يعد مقصدا من

مقاصد الحداثة الشعرية، والحقيقة التي تبحث عنها قصيدة الحداثة هي حقيقة فنية (...) عن طريق البحث في عوالم التّجديد.»[1]

إن التجديد هو الذي يبحث عنه بود لير في كتاباته وذلك عبر الرّمز والكشف عن القيم الجمالية والغموض: «لقد قام المذهب الرّمزي الذي أراده "**بودلير**" على تغيير وظيفة اللّغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة، تشير إلى مواضيع لم تعهدها من قبل، وكان يطمح إلى تغيير وظيفة الحواس عن طريق اللّغة الشّعرية، ولذا لا يستطيع القارئ أو السّامع أن يجد المعنى الواضح المعهود في الشّعر الرّمزي»[2] إنّ ما ذهب إليه "**بودلير**" ناجم من حياته التي عاشها فهو كان يعاني من انفصام في الشّخصية والنرجسية فلم تكن الأحاسيس همّه لذا دعا إلى تغيرها وهذا عن طريق اللّغة الشّعرية.

2- رامبو: هو شاعر سريالي وحداثته تقوم على الرّؤيا التي تعطي للشاعر حق تحطيم الواقع والتّحليق في عالم المجهول للكشف والمغامرة والحلم «يضرب بجذوره في هواجس وذكريات الطفولة للسمو إلى ما فوق الواقع، وهو عملية تأخذ طريقا معقّدا يصل إلى مرتبة الهلوسة والهذيان، على نحو تتدمر فيها الدلالات.»[3] ركّز "**رامبو**"، إذن، على الحلم واللاوعي كعنصر من عناصر الابداع الذي به تتحقّق الحرية وبالتالي الحداثة ونجده لا يبتعد عن "**بود لير**" فيدعو إلى سحر الكلمة.

لقد سار " رامبو" على نهج " **بودلير**" فنجده أيضا لم يكترث بالحواس فدعى إلى تدميرها وعدم الاكتراث بالماضي: «دعى إلى هدم عقلاني لكلّ الحواس، وإلى أن يكون الشّعر رؤية مالا يُرى، وسماع ما لا يُسمع، وفي رأيه الشّاعر لابدّ أن يتمرّد على التّراث وعلى الماضي، ويقطع أي صلة مع المبادئ الأخلاقية والدينية، وتميّز شعره فنّيا بغموضه وتغييره

---

[1]- بشير تاوريرت، رحيق الشعرية الحداثية في كتابات النقاد المحترفين و الشعراء النقاد المعاصرين، د.ط، قسم الآداب و العلوم_الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006، ص 79.

[2]- إبراهيم محمد جواد، «الحداثة في الفكر والأدب»، ص 7 الموقع:

http://albasaer.org/index.php/post/156 تاريخ التصفح: 2016/04/20

[3]- بشير تاوريرت، رحيق الشعرية الحداثية، المرجع نفسه، ص 80، 81.

لبنية التّركيب والصّياغة اللّغوية عمّا وضعت له، ويميّز أيضا بالصّورة المتباعدة المتناقضة الممزّقة»[1] كما نجده يدعو إلى الغموض وعدم الافصاح عن كلّ شيئ، فالشّعر عنده يحمل دلالات في طيّاته وعلى الشّخص استنباطها والكشف عنها أي بمثابة القراءة بين السّطور وفي هذه القراءة تكمن قدرة الفرد على الكشف والاستكشاف، فنبذ القراءة السّطحية كما لا يعتبر الشّعر الواضح من الشعر الحقيقي فالشعر الذي يعتبره حقيقيا هو ذلك الذي يرمز فقط ولا يفصح عن كل شيء.

3- ملارميه: لقد دعا "**ملارميه**" إلى الغموض «فالحدث والوصف عناصر بالية يجب التخلّص منها، حيث إنّ الشّعر لا يرتبط بمناسبات إنّه يرتبط بالأحاسيس المتأجّجة، وينصهر فيه الزّمن والحاضر والمستقبل في لحظة الزّمنية الأدبية»[2] ولم يبتعد "**ملارميه**" عن سابقيه من حيث الغوص في عالم الأحاسيس كما دعا إلى غموض متعمّد يجعل من النّص جملة من الألغاز لا يتم حلّها بسهولة، وهنا تكمن الحداثة عنده، وقد نبذ عناصر كانت ركيزة في الشّعر قديما وهي الوصف والحدث الذين بغيابهما لا تقوم القصيدة ، كما أنّ الشعر لا يرتبط بلحظة زمنية معيّنة ففيه نجد جميع الأزمنة منصهرة في آن واحد.

وهكذا بفضل هؤلاء وآخرون وصلت الحداثة الأدبية في الغرب إلى شكلها النّهائي على يد الأمريكي اليهودي "**عازرا ياوند** " والانجليزي " **توماس إليوت** "[3]

أمّا الرواية نفس الشيء فقد تشكّلت في الغرب "كانت الرواية من الفنون الأدبية التي نشأت في الغرب مع نمو الطبقة الوسطى وقد أشاد بهذا الموضوع أكثر الأدباء في كتبهم، وكان النظام الإقطاعي الذي يسيطر على المجتمع الأوروبي قبل عصر النهضة يرسم الخطوط الأولية للفنون الأدبية آنذاك وإنّ هدف هؤلاء الإقطاعيين، ينحصر أولاً وقبل كل شيء في الاحتفاظ بأرضهم وتوريثها لأولادهم بعد وفاتهم، فقد كان لصالحهم تجميد الأوضاع الاجتماعية

---

[1]- المرجع نفسه، ص 8.

[2]- بشير تاوريرت، رحيق الشعرية الحداثية، ص 87.

[3]- إبراهيم محمد جواد، «الحداثة في الفكر والأدب»، ص 8.

وتثبيتها وكان من الطبيعي أن لا يهتموا بالتجربة العلميّة وانتشار التعليم"[1] فالرواية نشأت لسد احتياجات الفرد فقد نشأت لخدمة الفرد.

ب- الحداثة في الأدب العربي:

إن الحداثة كما هو معروف هي غربية المنشأ، وهذا ما تطرقنا إليه سابقا، لكن في مجال الأدب نجد أن إرهاصات الحداثة قد بدأت في البلاد العربية. وتعتبر مقدّمة كتاب الشعر والشعراء مهمة في مجال النّقد الأدبي. "وهي المقدّمة التي زعمت الموسوعة العالمية أنّها أصل النّقد البنيوي وأنّ العرب ببعض ذلك عرفوا البنيوية قبل الغربيين باثنتي عشر عاما"[2] فهذا ما يدل على العرب تعرفوا على الحداثة ونشأت عندهم هذا بغض النّظر إن كانت قد حدثت بالصّدفة أم عن قصد، " أمّا بعض منظري الحداثة في الأدب العربي فقد نحوا منحى آخر حين مضوا يبحثون عن طريق يمنحهم انعطافة نحو حداثة عربية الجذور، فرجعوا إلى العصر الجاهلي ومنه إلى العصرين الأموي والعباسي، يفتّشون هنا وهناك عن بعض النماذج ويلبسونها ثوب الحداثة، فأبرزوا امرؤ القيس وبشار بن برد وأبا نواس وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم ممن سار من الشعراء القدامى على هذا الدّرب"[3] فالحداثة العربية كما هو مبيّن في هذا القول لم تكن قصدية أي من أجل الحداثة نفسها فلو كان الأمر كذلك لما تغلّبت الحداثة الغربية عن الحداثة العربية.

كما نجد أدونيس من منظري الحداثة العربية " فهو شاعر من رواد الحداثة وكتاباته الشعرية تجسّد بصدق رؤيته الحداثية للأدب وللحياة عمومًا، وهي في الوقت نفسه تجسّد تنظيراته التي ما فتئ ينادي بها في كلّ لقاءاته وينشرها في كلّ كتبه ومقالاته والتي تتمحور حول مفهوم مركزي للحداثة"[4] فقد كان أدونيس من الأوائل الذين تعرضوا لهذا المصطلح في

---

[1]- **سوسن باقري، الرواية العربية الحديثة، نشأتها، تطوّرها، منبر حر للثقافة و الفكر و الأدب، 2010/10/12.**

[2]- **عبد الملك مرتاض، في نظرية النّقد، متابعة لهم المدارس النّقدية المعاصرة و رصد لنظرياتها، د.ط، دار هومة، بوزريعة، الجزائر،2002، ص 19.**

[3]- **إبراهيم محمد جواد، «الحداثة في الفكر والأدب»، ص 8.**

[4]- **منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، ص 78.**

البلدان العربية وهذا بعد أن انكشفت معالمها في البلاد الغربية، فهو يبحث عن هذه الحداثة عند العرب وبأبحاثه عنها أصبح منظّر لها عند العرب.

الحداثة الفعلية في الأدب العربي لم نلمسها بعد، يقول غالي شكري: " وعندما أقول الشّعراء الجدد واذكر مفهوم الحداثة عندهم، أتمثّل كبار شعراء الحركة الحديثة من أمثال أدونيس وبدر **شاكر السّياب** و**صلاح عبد الصبور** و**عبد الوهاب البياتي** و**خليل حاوي**...عند هؤلاء سوف نعثر على **إليوت وعايزرا باوند**، وربما على رواسب من **رامبوا** و**فاليري**، وربما ملامح من احدث شعراء العصر في أوروبا وأمريكا ولكننا لن نعثر على التراث العربي"[1] فملامح الحداثة الأدبية العربية لم تتبلور بعد، هذا إن وجدنا بعض المحاولات في الكتابة الحداثية نكتشف حينما نتعمّق فيها أنّ جذورها وملامحها غربية النّشأة، فالحداثة الحثيثة لا تأتي عبر مؤثّرات خارجية أو عن طريق المحاكاة. " وهكذا كان الحداثيون العرب صدى للحداثة الغربية والمرآة التي نقلتها كما هي إلى مجتمعاتنا العربية، والأوعية التي حملتها بكلّ تنوّعاتها وتناقضاتها"[2] فالعرب أخذوا الحداثة الغربية كما هي دون أن يغيّروا فيها فألفوا على منوالها وقلّدوا كلّ ما فيها، إذن العرب لم يعيشوا الحداثة بل عاشوا آثارها فقط.

و"من أبرز رموز مذهب الحداثة عند العرب نذكر:

1- يوسف الخال، الشاعر النصراني وهو سوري الأصل، رئيس تحرير مجلة الحداثية.

2- أدونيس (علي أحمد سعيد) نصراني سوري ويعد المروّج الأوّل لمذهب الحداثة في البلاد العربية.

3- عبد العزيز المقالح وهو كاتب وشاعر يمني، ذو فكر يساري.

4- عبد الله العروي، ماركسي مغربي.

---

[1]- إبراهيم محمد جواد، «الحداثة في الفكر والأدب»، ص 9.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

5- محمد عابد الجابري، مغربي.

6- عبد الوهاب البياتي، شاعر عراقي ماركسي.

7- محمود درويش، شاعر فلسطيني.

8- كاتب ياسين، ماركسي جزائري، ومحمد أركون جزائري مقيم بفرنسا "[1]

أمّا الرواية العربية فقد شكّلت حيّزا كبيرا في الأدب، " قد ذهب مؤرخو الأدب في تحديد تاريخ ظهور النثر الفني ... وقال بعضهم إنّه ظهر قبل القرآن بقليل وصاحب ظهور القرآن ثم نما وازدهر إلى أن أُقرّه عبد الحميد الكاتب وابن المقفّع وقال البعض الآخر إنّ النثر الفنّي لم يعرف عند العرب إلا مع عبد الحميد وابن المقفّع"[2] فمن هنا يتبيّن أنّ الرواية قديمة النّشأة وموجودة منذ القدم. وقد كانت تستعمل لعدّة أغراض، فاستعمالاتها تهدف إلى تحقيق غايات مختلفة، وقد كانت الرواية العربية مستمدّة من الغرب أي متأثرة بالرواية الغربية، " لقد كانت الرواية العربية المعاصرة متأثرة عن الروايات الغربية بنحو كبير، في الحقيقة تأثر الأدباء العرب بعد اتصالهم بأوروبا عن القصص الغربي وكان رائدهم هو، «**رفاعة الطهطاوي**» الذي صدر روايته باسم «**تلخيص الإبريز**» وبعده "**فرح أنطون**" و«**المويلحي**» و«**حافظ إبراهيم**» ... الذين كانوا الأولين في كتابة هذا الفن والجيل الثاني الذين ظهروا في مجال كتابة الرواية في البلاد العربية خاصة في مصر، عبارة عن «**طه حسين**» و"**جرجى زيدان**" «و«**محمود تيمور**» و«**توفيق الحكيم**» و«**محمد حسين هيكل**» و"**تجيب محفوظ**" ...وبعدهم **عبدالرّحمن الشّرقاوي** و**صالح مرسي** و...من الجيل الثالث ومن كبار الروائيين المعاصرين في العالم العربي الذين قد سعوا في تطور الرواية العربية حتى وصلت إلى قمتها في العصر المعاصر"[3]. فالرواية أيضا مثل الشّعر تأثّرت بالرّواية الغربية ورفدت منها إما شكلا أو مضمونا، فاتبع الكتّاب العرب نهج

---

1 **أحمد محمد زايد، خصائص الحداثة، رابط الصفحة:**

.https://saaid.net/mktarat/almani/70-7.htm -

تاريخ التصفح: 2016/14/14

[2]- **سوسن باقري، الرواية العربية الحديثة، نشأتها، تطوّرها.**

[3]- **سوسن باقري، الرواية العربية الحديثة، نشأتها، تطوّرها، المرجع نفسه.**

الغرب. ومن ثم أخذت تتطوّر كلّما تطوّرت الرواية الغربية " اذ تأثّر الأدب العربي بالأدب الغربي وظهر بعض الروائيين الذين كان هدفهم تعليم العلوم الغربية كـ « **رفاعة طهطاوي**» و« **علي مبارك**» ممّا دفع الروّاد الآخرين إلى إحياء الأدب العربي القديم والاهتمام به، فامتدّت محاولة روّاد الحركة الفكرية إلى بعث التراث الفكري والأدبي العربي.

فتطور الرواية العربية في مصر يعود إلى حد كبير إلى محاولات اكتشاف المصريين لشخصيتهم ومقومات حياتهم الفكرية والأدبية وترددهم في هذه المحاولات بين التأثر بتراثهم العربي القديم وبين التأثر بالحضارة الغربية المتفوّقة"[1]

فالرواية العربية تشكّلت من الرواية الغربية وسارت على نهجها. " أيضاً وجود المهاجرين السوريين الذين جعلوا من تقليد النماذج الغربية وسيلة إلى التجارة وارضاء الذوق الشعبي، وكان لهم دور مهم فإننا نجد أنّ معظم المهاجرين الأدباء جاءوا مصر بعد عصر **محمد علي** وهكذا أسهموا في تنشيط المناخ الثقافي في مصر وبخاصة في تنشيط التعريب والتأليف"[2]. ومن هنا يمكن القول أنّ مصر كانت مهد الرواية العربية ومكان نشأتها سواء من المصريين أنفسهم أو عن طريق تفاعل أدباء العرب من سوريين وغيرهم في مصر.

6- أسس الحداثة:

ترتكز الحداثة على عدّة أسس وهي مختلفة من مفكّر لآخر، سوف نتعرّض لبعض النماذج معتمدين على منظر غربي شغلت الحداثة محورا مهما في تفكيره. يرى "**آلان تورين**" أنّ الحداثة تستند إلى ركيزتين أساسيتين هما العقلانية والانفجار المعرفي:

---

[1] – **محبوبة بادرستاني، نشأة الرواية المعاصرة في ظل نجيب محفوظ، منبر حر للثقافة و الفكر و الأدب، 2010/10/16.**

[2] – **محبوبة بادرستاني، نشأة الرواية المعاصرة في ظل نجيب محفوظ .**

أ- العقلانية:

يؤكّد آلان تورين أنّ «العقلانية مبتدأ الحداثة وخبرها ولا توجد حداثة من غير أساس عقلاني»[1]

تتأسّس، الحداثة، بحسب، تورين على العقل بالدّرجة الأولى؛ أي أنّ العقل هو المنتصر في مختلف مجالات الحياة والوجود، أي أنه لا وجود لنظريات وتصوّرات لا تستند إلى العقل، أي فرضيات غير عقلية، فالتصوّرات القديمة لا تصلح في فترة الحداثة لذا يجب وضع قطيعة للمرجعيات القديمة والتي ليس لها أساس عقلي، وهذا الاتّجاه العقلي يسعى إلى تحرير الانسان من الجهل والمعتقدات والخرافات والتي تقف في وجه التقدّم والحداثة.

ب- الاتجاه المعرفي:

إن المعرفة العلمية التي انجرّت عنها الوسائل التكنولوجية وأسفرت عنها هي التي تحدّث عنها "**آلان تورين**" في قوله: «تستبدل الحداثة فكرة الله بفكرة العلم، وتقصّر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكلّ فرد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه لا يكفي أن تكون هناك تطبيقات علمية وتكنولوجية للعلم حتى نتكلّم عن مجتمع حديث حيث ينبغي أيضا حماية النشاط العقلي من الدعايات السياسية والاعتقادات الدينية»"[2] فالحداثة الحقيقة هي التي شهدت نموا متسارعا في جمع الميادين العلمية والمعرفية.

إضافة إلى العقل الذي يستخدم هذه المعارف العلمية تتحقّق الحداثة الفعلية، فمرحلة الحداثة عرفت تطوّرا تكنولوجيا هائلا وأدبيا وهندسيا...إلخ.

ونجد أيضا الدكتور "**عبد الله تركماني**" قد حدّد مرتكزات الحداث فيما يلي:

«لقد شكل عصر الأنوار قاعدة التفكير للحداثة كلها، إذ أنه الفضاء الذي يقوم على أربعة محددات:

---

[1]- آلان تورين، نقد الحداثة، ص 36.

[2]- آلان تورين، نقد الحداثة، المرجع نفسه، ص 29.

1- العقلانية: باعتبارها البحث المستمر في المعايير التي تقاس بها صحة الاستراتيجيات التي تصوغها الجماعات أو تسعى إلى صياغتها من أجل إحراز التقدم ومسايرة التاريخ، وتحسين مردودية الجهد الإنساني ورفع فعاليته.

2 – التاريخانية: أي أنّ الحداثة قامت على معقولية التحوّل، وأفضت إلى تصور حركي للمجتمع، يحدد مراحلا لنموه وتطوره، وهو نمو يخضع لمعيار التقدم.

3 – الحرية: كأرضية تعيّن شرعية السلطة، وتؤكد حق الإنسان في تقرير شؤونه المدنية، دون إكراه أو قيد.

4- العلمانية: أي فصل السلطة السياسية عن المؤسسة الدينية، وفي مقابل ذلك الانطلاق من الإنسان كمفهوم مرجعي للممارسة النظرية والسلوك الأخلاقي والسياسي »[1]

فالعقل هو المعيار الأوّل الذي يعتمد عليه الشّخص دون أن يخذله فنتائجه معتمد عليها، وكذلك التاريخانية فالفرد عرف الحداثة عبر مراحل تاريخية وتوصّل إلى النمو والتطور على التدرّج، أمّا الحرية فهي أساس كلّ إبداع، فالشّخص المقيّد لا يبدع ولا يستطيع أن يغيّر من واقعه فبالتالي لا يمكن له الوصول إلى مرحلة الحداثة، وفي الأخير ذكر العلمانية التي هي فصل الدّين عن الدّولة والذي يقصد به حماية الدّين من السّلطة غير أنّ الكثير يعتقد أنّ هذا الفصل سلبي لهذا يرفضونه.

أمّا **محمد محفوظ** فيرى أنّ الحداثة تستند إلى:

- مرحلة تبلغها المجتمعات الانسانية من خلال عملية التراكم التاريخي، والخروج من دائرة الوصاية التاريخية التي فرضت على العقل الانساني في عصور الظلام.
- الحرية الإنسانية وتأكيد دور الإنسان الحر في مختلف ميادين المجتمع وقضاياه انطلاقا من حقوق الإنسان وتعزيزا للقيم الديمقراطية.

[1] – **عبد الله تركماني، أسس الحداثة و معوّقاتها في العالم المعاصر (1)، 2004/12/04، تونس.**

- العقلانية حيث يتجلى العقل بسيادته وهيمنته في مختلف جوانب الوجود الاجتماعي والسياسي تجليا لمبادئ التنوير وقيمه[1] وهذا يعني أنّ الحداثة تتم في المجتمع نفسه وليس باستيرادها من الخارج.
- أي تتم داخل معطيات تاريخية اجتماعية، كما أكّد عن الحرية والديمقراطية لتأسيس الحداثة، وفي الأخير بيّن قيمة العقل كأساس مركزي به تتم كل الشروط لتأسيس الحداثة.

نلاحظ من كل هؤلاء المفكّرين أنّ سمة العقل موجودة عند كلّ واحد منهم وهذا دليل على أنّ هذه الملكة لا نستطيع الإغفال عنها إذا أردنا الوصول إلى الحداثة، فالحداثة إذن هي موقف عقلي تجاه مسألة المعرفة وإزاء المناهج التي يستخدمها العقل في التوصّل إلى معرفة ملموسة.

أما **لوي ديمون** فيرى أنّ الحداثة ترتكز إلى المحاور التالية:

- الفردانية (مقابل حلول الفرد في الجماعة Holisme).
- أولوية العلاقة مع الأشياء مقابل أولوية العلاقة مع البشر.
- التمييز المطلق بين الذات والموضوع.
- فصل القيم عن الواقع والأفكار.
- تقسيم المعرفة إلى مستويات (فروع معرفية) مستقلة ومتجانسة[2].

أما هايدغر فقد حدّد خمسة مظاهر للأزمنة الحديثة وهي: العلم، والتكنولوجيا، والفن، والثقافة، والانسلاخ عن المقدّس[3] أي بالعلم الذي يحيل بنا إلى أفكار جديدة نتوصل إلى الحداثة.

---

[1]– محمد محفوظ، الاسلام، الغرب و حوار المستقبل، ص 33.

[2]– محمد سبيلا، الحداثة و ما بعد الحداثة، ص 17.

[3]– المرجع نفسه، ص 62.

6- سمات الحداثة:

ترتكز الحداثة على جملة من الخصائص والسّمات وقد تم استخلاصها من الدراسات التي قام بها المفكّرون والعلماء وهي كالتالي:

- الحيرة والشّك والقلق والاضطراب.
- الثورة على القديم كلّه وتحطيم جميع أطر الماضي.
- الثّورة على اللّغة بصورها التقليدية المتعدّدة.
- امتدت الحداثة إلى في الأدب إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.
- قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكلّ فتنها، والدّعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة.
- امتداد الثورة على الطبيعة والكون ونظامه وإظهار الإنسان بمظهر الذي يقهر الطبيعة"[1]
- تعدّد الصوات.
- التناص.

من هذه السّمات نستنتج أنّ الحداثة تسعى إلى بناء حياة جديدة وهذا بالقضاء على السائد والقديم والمعروف، وعدم إتّباع أي منهج أو قاعدة يسير عليها الفرد أسفر عن القلق والاضطراب والحيرة والشّك، وفي مجال الأدب تكمن بالتنديد باللّغة القديمة والتقليدية كما أنّها امتدّت إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني، كما أنّ هذه الحداثة غيّرت النّظرة إلى المرأة الضعيفة التي كانت مستورة ومحافظة فأصبحت لا فرق بينها وبين الرّجل فغابت كل معاني المرأة التي كانت قديما خاصة من الجانب الدّيني فالمرأة قديما كانت مقدّسة ولكن لما أتت الحداثة اخرجتها من قدسيتها فأصبحت مثلا تمارس السياسة إلى جانب الرّجل. حتى الطبيعة

[1]- زايد أحمد محمد، خصائص الحداثة، سلسلة في مواجهة الاسلام (تيار الحداثة)، صيد الفوائد على الموقع: https://saaid.net/mktarat/almani/70-7.htm، تاريخ التصفح: 2016/05/15.

مسّتها الحداثة فلم يعد الفرد يقتات من الطبيعة ويهتم بها كما كان قديماً بل وثار عليها فحطّمها ولم يعد يهتم بها سواء بالنزوح إلى المدن أو قتل المساحات الخضراء بالبناء والتشييد.

أمّا تعدّد الأصوات فهو ما أنتجته الرواية الحديثة فالرواية القديمة والكلاسيكية تعتمد على صوت واحد وهو الذي يسرد في الرواية من البداية إلى النهاية، وفق ما يراه الناقد الاميركي **ستيفان ماير**، أن احد الاستراتيجيات المبتكرة الحديثة التي دخلت في الرواية العربية في الستينيات كان دمقرطة السرد، أو تعدد الاصوات[1] .أما التناص فهو كذلك سمة حدثية إذ نجد الكاتب استلهم نص أو عدة نصوص في روايته سواء الشعر أو النثر أو القرآن أو المديح...إلى غيرها من النصوص «يرجع الفضل في وضع مصطلح التناص إلى الباحثة البلغارية **(جوليا كريستيفا)** التي وجدت الارضية ممهّدة بجهد **(ميخائيل بختين)** الذي عرّفه ووضع قواعده في كتابه "**الماركسية و فلسفة اللّغة**"، لكن دون أن يذكره بهذا الاسم المعروف به حاليا. **(فكريستيفا)** تعرّف التناص بأنّه جملة من المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى وما أن نفكر في معنى النص اعتباره معتمدا على النصوص التي استوعبها و تمثّلها فإننا نستبدل مفهوم تفاعل الذوات بمفهوم التناص» [2] فالتناص دوره إضفاء الصبغة الجمالية للنص لأنّنا لا نستطيع إدراك جمال الشيئ وقيمته إلا بعد مقارنته مع الآخر، "التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[3]

و" من أهم خصائص الحداثة التي صاغها أدونيس:

- التمرّد والثّورة على النّظام السّائد والتقاليد بجميع أشكالها.
- الاتصال بالتراث والانفصال عنه في آن واحد.

---

[1]– فابيو كاياني، تعدد الأصوات و الصوت السردي في رواية الرجع البعيد لفؤاد التركلي ، تر. سهيل نجم، الاتحاد العام للأدباء و الكتاب في العراق.

[2]– سعيد سلّام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا،د.ط، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، 2010، ص 201.

[3]– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992، ص 121.

– الاقتران بالاختلاف والتغير والخروج عن النمطية.

– إرساء مبدأ التساؤل والاحتجاج.

– فتح آفاق جديدة للتجارب الابداعية."[1]

اضافة إلى المميزات والسمات المتقدمة، كانت الحداثة بوصفها حركة تاريخية تمظهرات مختلفة في مجال الفلسفة، والثقافة، والاقتصاد، والسياسة، وعلم الاجتماع، مثل مثلث الفوردية الذي يعتبر خصيصة من خصائص الحداثة في المجال الاقتصادي، وفي علم الاجتماع هناك تجاوز لمرحلة التقليد إلى مرحلة التجديد، وايجاد مجتمع صناعي، وفي الثقافة كان هناك ظهور لنوع من النّخبوية، وفي الفلسفة مادية ماتريالية طبيعية ودنيوية، وفي العلم برز المنحى الميكانيكي.

[1]– منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، ص 97.

إنّ الرواية الجزائري المكتوبة باللّغة العربية هي رواية حديثة النشأة، إذ لا يتجاوز عمرها النصف قرن، ومن ثم ظهرت الرواية النسوية الجزائرية التي حاولت المرأة من خلالها كسر كل القيود التي كانت تحكمها، كما أرادت أن تفرض نفسها في المجتمع، فهي لم تعد تلك الضعيفة التي تخاف من حكم المجتمع ومن التقاليد والأعراف.

فهذه الكتابة أهّلت المرأة لتصبح بذلك عضوا فعّالا في المجتمع له دور ووجود ومكانة أي أصبحت فاعلا بعدما كانت مفعولا، وبعدما كانت مهمّشة ومنبوذة، ففرضت ذاتها لتدخل بذلك في عالم الكتابة والرواية من بابه الواسع فأصبحت تنافس الرّجل في كل شيء، الذي كانت الكتابة مقصورة عليه فقط، وفي مجال الكتابة فقد أصبحت تساير العصر إذ أنّها تكتب بطريقة حديثة وعصرية، ولا يمكن لأي كان أن ينكر أنّها أثرت السّاحة الأدبية والفنية بآرائها وأفكارها فهذا الوضع الجديد جعل المجتمع ينتبه إلى العنصر النسائي، خاصة وأن المرأة أصبحت تمثّل نصف الطاقة الإنتاجية للمُجتمع، ولذلك فتحريرها اجتماعيا وادماجها في الرهانات التنموية من خلال خلق فرص الشغل أصبح ضرورة اقتصاديَّةً واجتماعية فالمرأة مكانتها أصبحت مهمّة مقارنة بما كانت علية فهي لم تثري السّاحة الأدبية فقط وإنّما الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، وهي أيضا اتبعت مسار المرأة الغربية في الكتابة علما أن المرأة الغربية أسبق إلى هذا الفن، فقد تجلى هذا الوعي في مستوى نمو الحركات النسائية في الوطن العربي والتي ساهمتْ – بدَورِها – في تحرير العقلية العربية من بعض التصورات السائدة حول المرأة (العطالة، الدونية، النقص).

لقد عرف الخطاب النسائي العربي شأنه شأن مُجمل الخطابات العربية الحديثة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية) تدرجًا في التعامل مع سؤال التحرير تبعًا لوضعية السياق الغربي، وللعقليَّة العربية وبهذا نجد أن المرأة قد قطعت شوطا مهما من التقدّم في حياتها بالمقارنة لما كانت عليه. ولهذا أصبحت حاضرة في مجالات شتى، فعامل الكتابة أخرجها من غياهب المجتمع والسّجن المفروض عليها من قبله.

وقد لمع في الأدب النسوي الجزائري عدّة أسماء لها صدى في الكتابة الروائية التي شغلت حيزا في النتاج الأدبي، سواء أكان شعرا أم نثرا، وكانت الوتر الحساس الذي يتأثر بحركة الواقع، ويؤثر فيها، ونجد نخبة من الروائيات الجزائريات أمثال "ليلى الصبار، آسيا جبار، مليكة مقدم، فقد كانت هذه الرواية تبحث عن مكانة المرأة وحقوقها المسلوبة ومن بينهم الروائية "جميلة طلباوي" برواياتها وأعمالها، ورواية "الخابية" التي هي بين أيدينا واحدة من هذه الأعمال التي فجّرت الأقلام وأسالت الحبر الكثير ونوّرت الدّرب لمن لا يفقه في الرواية الجزائرية النسوية الحديثة والعصرية، وسوف نحاول دراسة واستنباط بعض السمات الحداثية الواردة في هذه الرواية.

تقديم الكتاب:

المؤلِّف: جميلة طلباوي.

المؤلَّف: الخابية.

منشورات: المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار (ANEP) سنة 2014.

مكان الحصول على الكتاب: قدّم من طرف الأساتذة.

معلومات عن الكتاب: يقع الكتاب في 220 صفحة، متوسط الحجم، لديه أربعة فصول.

التعريف بالمؤلِّف:

الاسم ومكان الميلاد: جميلة طلباوي ببشار.

الشهادة الجامعية: مهندسة دولة في الميكانيك– بناء حراري، من جامعة بشار.

الوظيفة : اعلامية بالإذاعة الجزائرية.

المؤلّفات:

***شظايا** : مجموعة شعرية – منشورات التبيين – الجزائر عام 2000م.

***وردة الرمال:** رواية قصيرة – منشورات التبيين– الجزائر عام 2003م.

***شاء القدر**: رواية قصيرة – منشورات التبيين – الجزائر عام 2006م.

***أوجاع الذاكرة** : رواية قصيرة – منشورات دار الثقافة لمدينة بشار – الجزائر عام 2008م.

***أوجاع الذاكرة:** (ضمّت أوجاع الذاكرة وقصص أخرى)– صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق–سوريا ديسمبر 2008م.

الجوائز المحصّل عليها:

*الجائزة الأولى في القصّة القصيرة –عن مسابقة جمعية رضا حوحو ببشار الثقافية – الجزائر عام 1991م.

*جائزة أحسن منشطة اذاعية عن مسابقة نظّمتها اذاعة تبسة – الجزائر عام 1996م

النشاطات:

*عضو المجلس التوجيهي لدار الثقافة بمدينة بشار بالجزائر.

*شاركت في المهرجان الثقافي للشعر النسوي بقسنطينة في طبعتيه2008م و2009م.

نشرت العديد من الأشعار والقصص القصيرة :

داخل الوطن:

* الجمهورية الأسبوعية، الخبر، المساء.

في العالم العربي:

*مجلة كتابات معاصرة بلبنان.

*جريدة العنوان الدولي بسوريا.

***تنشر في المواقع الالكترونية:** أصوات الشمال، مركز النور ، موقع القصة العربية.

الأعمال الإذاعية:

*المسلسل الإذاعي " نساء خالدات" (الاقتباس والإخراج) – رمضان 1997 م

*إرساء القواعد الأولى لبرامج الأطفال بإذاعة بشار الجهوية عام 1991 م

*أستوديو الأطفال ، يوميات أحمد وحنان ، الكوكب الجميل ، ياسمين والقلب الذهبي.

برامج تناولت السياحة والموروث الشعبي بولاية بشار:

*من ربوع الساورة ، ميراث السنين ، نبض الحنين.

***برامج أدبية** : ظلال الكلمة ، رحيق لغتنا.

***برامج اجتماعية** : أحاديث بيننا، بصراحة، ندوة المستمعين، طبيبك على الهواء، صور من الواقع والحياة.

الأعمال التلفزيونية:

*على ضفاف وادي قير : برنامج عرف بالموروث الثقافي الشعبي لدائرة العبادلة عام 2001.

*المولد النبوي الشريف ببني عباس : عرّف هذا البرنامج بعادات أهالي بني عبّاس في إحياء المولد النبوي الشريف عام 2000 م.

*تنشيط برنامج بين الثانويات (نقل مباشر من بشار – نقل مباشر من ولاية النعامة.

*عضو لجنة تحكيم في المهرجان الوطني للفيلم القصير – تاغيت الذهبي نوفمبر 2007م.

ملخص الرواية:

تتحدّث الرواية عن الصحراء أين وقعت أحداثها، فهي رواية مكان بامتياز، خرج فاتح من منزله ذات ليلة، فالتقى بخالته الياقوت، وهي تلبس ليزار، لباسها الأصيل فهو يعرف عنها الكثير من التفاصيل، فقد زارها عدّة مرّات في الزاوية التّحتانية بمدينة " تاغيت "، فقد جاءت لزيارة ابنها الصيدلي " خليفة " الذي زاره البارحة فقط، ولكن ما شدّ انتباهه عند زيارته له هو استبداله الفراشية التّاغيتية، وفراشة البرانكو التّاغيتي بالسّجاد الايراني والسجاجيد الصينية، ولكن هذا أهون عليه لأنّه سمع ما لم يتوقّعه منه إذ لما تحدّث معه أخبره بأنّه يبحث عن آفاق أوسع وبأنّ الرّمل يخنقه، فاندهش من كلامه خاصة وأنّه بأمسّ الحاجة إلى رمل تاغيت وسحر قصرها العتيق هذا بالذّات لأنّه كان بصدد القيام بمشروع بناء قصر " سور للقصر ".

كان لفاتح ابنة خالة اسمها جوهر، هذه الفتاة التي عانت الأمرين مع زوجة أبيها، فقد توفيت أمّها، فتزوّج والدها من فتاة تكبرها بعامين فقط، وهربًا من جحيم منزل والدها غادت منزلها لتسكن عند خالتها أي أم " فاتح " وهناك ازداد حبّها لفاتح ولكن القدر لم يكتب لهما أن يجتمعا فقد خطب فريدة وتزوّج منها ورزق بطفلة سماها " أمل " لكن سعادته لم تكتمل، فوالدتها توفيت لحظة ولدتها، وهكذا بقيت جوهر في منزلهم إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تعرّفت فيه عن الطبيب " عيسى " فتزوّجت منه، أمّا فاتح فقد أعاد بناء حياته من جديد مع امرأة تدعى " سارة " التي كانت شريكته في مشروع التّجمعات السكنية على شكل قصر، تضم مرافق تثبت روح التعاون والجماعة بين ساكنيها.

ذات مرّة اتجها إلى مدينة " تيمودي " التي يتواجد فيها عدّة قصور مازالت تحتفظ ببعض ملامحها مثل " قصر الشارف " و" قصر سيدي داود "، " قصر سيدي عبد الله"، " قصر بوطرفاية "، لقد اختار هذه المدينة لأنّ سور أحد قصورها ما زال شامخا فيها" (ص101).

وهذا بالضّبط ما كان يستهويه في القصور، ولما رأته "سارة" تعجّبت لشموخه فقالت لفاتح:" كيف استطاعوا أن يبنوا سورًا بهذا الارتفاع في تلك الفترة ؟"، فأجابها بأنّ السّر بـ "التويزة" أي التعاون" (ص 101) .

وهناك حدّثها عن صديقته المهندسة الأمريكية التي تعرّف عليها عبر الأنترنيت تدعى " نانسي" ولها نفس الميول أي الانبهار بالقصور والتي قرّرت زيارة الجزائر لاستكشاف القصر العتيق وهندسته المعمارية لعلّها ستستفيد منه في البناء، فقالت له سارة: " هؤلاء الغربيون يتحدّون كلّ شيء من أجل العلم، يستفيدون من بلداننا المتخلّفة أمّا نحن فلا نأخذ منهم سوى القشور " (ص 116).

وفي الغد ذهب لزيارة " سي مختار" فأخبره بأنّ "عيسى" زوج "جوهر" تغيّر كثيرًا بعد دخوله السياسة، فاصبح يخالط الناس المشبوهين ويتعاطى مع قادة الحوت أفسد تاجر بالمدينة، كما أنّه اصبح يخون زوجته مع " علجية السياسية، كلّ هذه الأخبار نزلت على فاتح كالصاعقة، فاتّصل بـ " جوهر" للاطمئنان عليها، فسألها عن أحوالها إن كانت سعيدة في حياتها الزوجية، فأخبرته أنّها أصبحت تمارس السياسة لتحافظ على بيتها، ثم غادر إلى قصر جدّه أين التقى هناك بعمّه " عاشور" الذي كان يسأله دائمًا عن مشروع القصر " فهو يرى أنّه لو حافظنا على القصور لحافظنا على البركة التي لم تعد موجودة لا في المال ولا حتى في الوقت ولا في الأولاد، حتى السور في نظره كان ممزوجا بالمحبة والتعاون والاحترام، فقد كان شغوفا لرؤية سور القصر لأنّ قلبه كان يتمزّق كلّما رأى هذه الأطلال.

ها هي الأمريكية قادمة إلى الجزائر، استقبلها "فاتح" و"سارة " في مطار هواري بومدين، لقد انتقلت من العالم الافتراضي إلى الواقع، إنّها امرأة في 51 من عمرها لكنّها نشيطة وحيوية قالت بكلّ عفوية: " كنت خائفة من أن تتفجّر قنبلة في المطار ظنّت أنّها سوف تجد إرهابيين في كلّ مكان "(ص 145) . ولمّا وصلوا إلى " بشار" بدأت نانسي تلاحظ كلّ شيء حتى تصرّفاتهم إذ سألت عن سر تقبيل الأم من الرّأس، وفي صباح يوم الغد انتقلوا إلى مدينة

" تاغيت" فتوجّهوا إلى القصر العتيق فقالت نانسي بأنّها شعرت بدفء كبير بذلك القصر، فالواقع يختلف عن الافتراضي، فالتقطت له العديد من الصّور، رسمت تصاميم صغيرة.

أصبحت تعيش مثلهم تفترش الأرض وتأكل خبز البصل، والكسكسي وتحتسي الشاي وكأنّها واحدة منهم كما أنّها صبغت يديها بالحناء. ها هي لحظة الفراق آتية فقد حان موعد عودة نانسي إلى وطنها، لكن الوداع كان صعبًا، قالت لفاتح: " أتمنى عندما أعود في المرة القادمة أن أجد لوحة أخرى على الجدار لوحة القصر مثلاً، فقال لها: وهل فعلاً لم يبق من داع لأعلّق جورنيكا ؟ (ص 153)، وقدّم لها لوحة رمل كبيرة كتذكار نحت عليها شكل قصر، فضمّت اللّوحة إلى صدرها وودّعت الجميع وهي تبكي، قالت لهم: " سأعود إلى بلدي وأقول لهم بأنّني كنت في كوكب الملائكة، وسأنجز مشروع القصر في مدينتي، نحتاج سورا يحمينا" (ص 154).

عاد الجميع إلى حياتهم الطبيعية، أمّا فاتح فقد كان السّجن بانتظاره، وهذا لأنّ "عيسى" زوج "جوهر" الذي يكرهه كثيرا قد دبّر له مكيدة فقد زوّر بختمه مشاريع مشبوهة، ومنه ألقي القبض عليه، وهكذا شاءت الأقدار أن يصبح بين أسوار السّجن بدلاً من أسوار القصر، لكنّ هذه الأسوار مختلفة " فالأوّل له أنياب ومخالب أمّا الثّاني له منافذ للنّور" (ص 210). ولكن زوجته لم تتركه فقد ساندته حتى تحصّل على البراءة وغادر السّجن، وهكذا عاد إلى استكمال مشروعه، لكن لم يجد من يسانده حتى أنّه قيل له لكي ينجح مشروعك ابن فيلات بدلا من قصور.

ومن هنا خيّم اليأس على حياته وانتهت رحلته وفشل مشروعه في بناء " سور للقصر"، ولكنّه توصّل إلى نتيجة وأدرك بأنّ " القصور ليست وحدها من يحتاج إلى ترميم، ذاكرتنا المعطوبة هي الأخرى بحاجة لمن يسعفها، بحاجة إلى ترميم" (ص 220).

وسنستعرض فيما يلي أهم سمات الحداثة الموجودة في رواية الخابية:

أ- الثورة على القديم وتحطيم أطر الماضي:

إن الحداثة تتعارض مع كل قديم، وهذا ما ذهب إليه "**محمد نور الدين أفاية**" في قوله: "ولهذا تظهر السمة الأولى للحداثة والمتمثّلة في كونها توجد في حالة تعارض دائم مع القديم . وبالتالي فإنّ ما هو حديث يتعارض من حيث المبدأ مع ما هو تقليدي أو ما ينتمي لتراث مضى "[1] وهذا ما يظهر في رواية الخابية " كنت زرته البارحة في بيته وانتبهت إلى غياب الفراشية التّاغيتية وفراش البرانكو التاغيتي، رأيت كيف أنّه استبدلهما بالسّجاد الايراني والسجاجيد الصينية "[2] فهذا خليفة الصيدلي المثقف هو الذي بدأ بتحطيم الماضي والتراث فقد وهذا ما يظهر جليا في هذه الرواية إذ وجد في السجاجيد الجديدة والمستوردة راحة وجمالا أكثر من تلك التي تم صنعها في بلاده. كما نجد موضع آخر في الرواية عن تحطيم أطر الماضي والبحث عن الجديد " أدرك بأنّ خليفة لن يعود إلى الزاوية التحتانية، قال لي ذات مساء خريفي بصوت واهن بأنّه يبحث عن آفاق أوسع، وبأنّ الرّمل يخنقه. منذ مدّة بدأ بالتخطيط للعودة إلى مدينة وهران ومنها إلى خارج الوطن "[3] فخليفة يرى في الرّمل طريق مسدود لا مخرج له إلى التقدّم والنور لذا قرّر الهجرة إلى حيث كل شيء فيه متقدّم وجديد، فنجد أن الحداثة تدخلت أيضا في شخصية الفرد وغيّرت من سلوكه، فهذه هي الحداثة التي دخلت تفكير الفرد، غذ أصبح يرى في الرّمل التخلّف، ولا يؤدي إلى طريق التقدّم والنور، ولهذا نجده قد صوّب نحو الهجرة من هذا الرّمل، الذي سدّ كل الطّرقات لأنّ هذا الأخير لا يخرج الفرد إلى الحداثة.

"ومن تم فالحداثة لا تعبّر فقط عن واقع التغيرات التّقنية، العلمية والسياسية التي وقعت في التاريخ الغربي، وإنّما تدخل، كذلك، ضمن لعبة العلامات والعادات والثقافات التي تكثف

---

[1] – محمد نور الدين أفاية، الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، د.ط، نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1998، ص 108.

[2] – جميلة طلباوي، الخابية، متسع لذاكرة المكان، منشورات ANEP، 2014، ص 13.

[3] – المصدر نفسه، ص 14.

التحولات البنيوية على صعيد الطقوس والسلوكات الاجتماعية"[1] فالتغيير مسّ أيضا العادات والسلوكات الاجتماعية والمعتقدات. فالتغيّر يبدأ معنويا من داخل الفرد بالرّفض والتّنديد بالشيء ثم يتجسّد ماديا في الواقع بالتّغيير والهدم والتحطيم لكل ما هو قديم.

وكذلك في قول جميلة طلباوي " خارج القصر محلات بيتزا تملأ المكان تنذر بحالة حصار للمخلّع وانهيار سور دافئ كان يجمعنا "[2] فهنا نجد تحطيم آخر للماضي وكل ما يمت بالصّلة له واستبداله بالجديد، وهذا ما تجلى هنا في هذا القول حيث أن الطّعام لم يسلم أيضا من الحداثة فقد تم تغيير المطاعم والأكلات فتم استبدال المخلّع السائد منذ القديم وكان حول موائد الطّعام التي كانت تجمع السكان في الأحياء الشعبية وتزيد من تقوية أواصر المحبّة بينهم والأخوّة ، أمّا الآن فقد أصبحت مطاعم للبيتزا والأكل السّريع الذي يتماشى مع هذا العصر أي عصر السّرعة وعصر قطع صلة الرّحم.

ونفس الأمر بالنّسبة للباس ويتضح من خلال هذا القول: " وأحضرت لي بذلة ومعطفا، طلبت منّي أن أنزع الجلابة، حسب رأيها لا يليق أن أركب الطائرة وأن أسافر إلى الجزائر العاصمة بالجلابة، ضحكتُ في قرارة نفسي، ثمّ تحدّثت معها عن هذه العداوة التي أعلناها ضدّ كلّ ما هو جزء من ذاكرتنا وكلي يقين لو أنّ أوروبيا لبس الجلاّبة لقلّده الجميع "[3] فهنا تظهر عقدة النّقص بما هو موروث عن الأجداد والخجل منه أمام الغير، فالعرب يحبون الجديد المستورد من الخارج فقط، فلو لبس الجلابة سوف يكون محل أنظار في الجزائر العاصمة وسوف يكتشفون من أوّل وهلة بأنّه من الدوار، وربما سوف يكون محل سخرية واستهجان واحتقار لذا طلبت منه زوجته خلعها ولبس ما يليق بالعاصمة، فزوجته خافت نظرة النّاس إليهم بتلك الجلابة.

ونجد أيضا تحطيم آخر للقديم في قوله " ما كدت أنهي حديثي عن فكرتي (فكرة بناء سور القصر) حتى انفجر ضاحكا، كاشفا عن أسنان تآكلت وشابها الصّدأ، وصلني صوته

---

[1] – **محمد نور الدين أفاية، الحداثة و التواصل، المرجع نفسه، ص 111.**

[2] – **الرواية، ص 30.**

[3] – **المصدر نفسه ، ص 141.**

كنعيق غراب وهو يقول بأنّ لا أحد يرضى أن يسكن في مساكن من طوب، في قصر، ابن فيلات صغيرة وسينجح مشروعك "[1] فالمسكن أيضا لم يسلم من الحداثة فالكل ضد فكرة القصر.

فالناس ترفض السّكن في القصر ويفضّلون الفيلات والمنازل العصرية، حتى أنّ فاتح لم يجد من يسانده في مشروعه والوقوف إلى جانبه لاستكمال بناء سور للقصر، بل هنالك فقط من يحطّم معنوياته ويلهيه عن هذه الفكرة وينصحه بالابتعاد عنها.

قام الإنسان بتحطيم كلّ ما يمدّ بالصّلة بالماضي، إذ قام باستبداله بالجديد من حيث الأكلات والملابس، حيث أصبح "**فاتح**" خجولا من إرتداء الزّي التقليدي والتوجّه به نحو المطار أو العاصمة، فالحداثة مسّت أيضا جانب البناء، بحيث أصبح الفرد، يستهزئ من فكره ببناء صور للقصر.

ب- الحيرة والشك والقلق والاضطراب:

إنّ الحداثة التي أفرزت عن تحطيم أطر الماضي أسفر عن ظهور الحيرة والشك والاضطراب "وما دامت الحداثة تشكّل صدمة للموروث والتّقليد والثابت، فإنّها تدخل الاضطراب في الرؤى المطمئنة إلى استقرارها، وتعيد النّظر في الفهم المشترك لدرجة أنّه أمام تدخّلاتها لا يكف – أي الفهم المشترك – عن الاعلان عن عدم فهمه لما يجري حوله. إنّ الحداثة تقلق وتغري"[2] أما في الرواية فنجد الشك والحيرة في قول فاتح " تنقّلت بين قنوات التلفزيون، كل البرامج مقرفة، الأخبار كاذبة ومرعبة "[3] فقد أصبح الفرد لا يثق في كل شيء حتى الاعلام الذي ينقل ما في الواقع من حقائق وأخبار، فالشّك سكن عقل الانسان بل وأصبح لا يفارقه فأصبح يشك ولا يصدّق أي خبر يسمعه أو يشاهده.

أما القلق والاضطراب فنجده واضحا وبارزا في قول الكاتبة :" إحساس يلازمني دائما بأنّ الدّخول إلى مكتب مسؤول كالسّقوط في هاوية، عليك أن تتهيّأ لتشوّهات الكذب، لجراح

---

[1] – **الرواية، ص 204.**

[2] – **محمد نور الدين أفاية، الحداثة و التواصل، المرجع نفسه، ص 118.**

[3] – **الرواية، ص 18.**

السّخرية، لكدمات النّكران، تهيّأ للكسور وحتى للعطب، ما دمت لم تزر مكتب مسؤول فأنت بخير"[1] فأصبح الفرد يقلق ويضطرب عند الدّخول إلى مكاتب المسؤولين لأنّ الجواب واضح ونفسه عند جميع المكاتب.

فالكذب أصبح سمة المسؤولين وصفتهم وكأنّ المسؤول ولد مسؤولا والشّعب الضّعيف سوف يبقى هكذا ضعيفا، وهذه هي الحقيقة وسوف تبقى هكذا ما دامت السّلطة في أيدي هؤلاء المشبوهين والمتغطرسين.

الشّك أيضا حاضرو يظهر لما قالت الأمريكية: " بأنّها جاءت وكلّها خوف من أن تحوّل بهم الطّائرة، أو أن تنفجر قنبلة في المطار، ظنّت بأنّها ستجد إرهابيين في كلّ مكان هنا "[2] فالأمريكية كانت تشك في الشّعب الجزائري، فهي تملك فكرة سلبية عن هذا الشّعب إذ ظنّت بأنّهم جميعا إرهابيين بما في ذلك طاقم الطّائرة وهذا ما قالته بلسانها إذ خافت أن تتحوّل الطّائرة عن مسارها الأصلي.

ونجد القلق حاضر حتى في الوطن أي بين أشخاص من وطن واحد وهذا ما يتبين في هذا القول: " شممت من حديثه رائحة حيلة أخرى لتبييض وجهه الملطّخ بسرقة أموال الشّعب والفساد "[3] إنّ "جوهر" تشك في زوجها وهي قلقة حياله على أفعاله المشبوهة، فأصبحت لا تثق به وبأقواله لأنّها تعرف أنّه شخص غير موثوق به.

ج- تمجيد الرّذيلة والفساد:

فالحداثة غيّرت أيضا من المعاملات فأصبح النّاس يمجّدون الرّذيلة والفساد ويسيرون على هذا النّهج " التزم عيسى صمتا غرس ناب القلق عميقا في روحي...وكأنّه راض على جرائم قادة الحوت تاجر المخدّرات بيّض أمواله وصار اسمه لامعا في التجارة"[4] فالفرد في زماننا هذا لا تهمّه الأخلاق، فنجده يصاحب الراشي والمرتشي والدنيء فالثروة همّه الأوّل وأصحاب

---

[1]- **المصدر نفسه ، ص 60.**

[2]- **الرواية، ص 145.**

[3]- **المصدر نفسه ، ص 186.**

[4]- **المصدر نفسه ، ص 33.**

المال لا يهمّهم إلا ربح الصّفقات وجمع الثروات مهما كان منبعها وطريقة جمعها، ولهذا نجد الأخلاق قد فسدت وأصبح الناس منزلهم المحاكم وامتلأت السّجون بالمجرمين.

" ضحكنا ليلتها، لكنّني شعرت بالاشمئزاز من تدخّل قدور الذي أصبح معروفا بقدور البوشية...هو من قتل سكينة جارتنا الأرملة بعدما اتّهمها بممارسة الدعارة ولم يرحم صغارها اليتامى الجياع... هو من أقنع أخي جبّار بالصّعود إلى الجبل والانضمام إلى زوّار اللّيل الذين كانوا يشحذون سكاكينهم لذبح الأبرياء "[1] إن الرّذيلة والفساد أصبحا يلاحقان الانسان، الفرد أصبح يقتل أخاه، وحتى النساء والأطفال دون رحمة أو شفقة، ولأتفه الأسباب هذا لانعدام الحوار والتّفاهم بين الأشخاص وغياب التسامح والأخوة بينهم، فالانضمام إلى الجماعات الإرهابية التي كثرت في الآونة الأخيرة سببها تمجيد الرذيلة والفساد حتى أنّهم يخططون لقيام وتنظيم دولة لأنفسهم وهذا ما يسمى بـ " داعش" حاليا، وهذا ما نجده اليوم في سوريا و العراق وافغانستان وباكستان...إلخ والعديد من البلدان العربية وحتى الأوروبية.

وهناك موضع أخر عن الفساد الأخلاقي " ها هو عيسى زير النساء اليوم يختارها زوجة له...مغامراته النسائية لا تنتهي، كانت آخرها وأغربها تلك التي ربطته بإحدى بنات اللّيل، حتى ظننا من شدّة تعاطفه معها بأنّه سيتزوّجها "[2] إن الفساد والرذيلة يكمن في هذا المقطع إذ أن النّساء أصبحن كاللّعب أو بمثابة السّلع المعروضة للبيع وهذا كلّه من أجل المتاع والمال.

فالفساد والرذيلة في الرواية نجده بكثرة وهذا دليل آخر عن هذه الصفات القبيحة والشنيعة في قول الساردة: " بوزيد الذي يتهرّب من دفع الضرائب ويستغل النساء خاصة الفتيات أشنع استغلال فلا شيء على الورق يثبت بأنهنّ ينتسبن إلى مؤسّسته"[3] إن هذا النّوع من الاستغلال أصبح كثير في عصرنا الحالي، فتشغيل الشباب بدون رخصة ظل ظاهرة معروفة،

فحاجة الفرد إلى الشغل هي التي دفعته بقبول بكل هذه المناورات، فيقبل العمل دون تأمين على حياته وعائلته وبهذا يكون عرضة للظلم والاستغلال من طرف المسؤولين وأصحاب الأعمال. "

---

[1]- **الرواية، ص 39.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 44.**

[3]- **المصدر نفسه ، ص 68.**

كان كلّما أخبرني بأنّه سيقيم عشاء عمل في البيت إلّا وشعرت باختناق شديد، لأنّني أعرف مسبّقا بأنّ صفقة مشبوهة ستبرم على حساب الفقراء والضّعفاء في هذه المدينة"[1] لقد أصبحت الأعمال المشبوهة تبرم على شكل عشاء عمل، العشاء الذي سوف يكون على حساب الفقراء والضّعفاء من عامة الناس والعمال.

" أخبرتني بأنّ الطبيب التاجر الذي لا يهمّه سوى المال شجّعه على إجراء العملية رغم خطورتها"[2] لقد أصبحت الروح البشرية لا تهم حتى أنّ أصحاب الطّمع والجشع وضعوها في كفّة مع المال، فالمتاجرة بالأرواح البشرية أصبح من الأمور العادية بالنّسبة لهم فلا شيء يقف في وجه هؤلاء الطماعين، فحياة الإنسان عندهم كصفقة تبرم مصيرها إمّا النّجاح أو الفشل.

" الدكتور فؤاد ارتكب خطأ مهنيا، وبدل أن يفصل عن العمل تمّ نقله إلى مدينة بشّار"[3] هذا هو الحال في بلادنا لا يوجد قانون يحمي الأشخاص وكأنّنا في غابة القوي يأكل الضّعيف وإلاّ كيف لطبيب ارتكب خطأ ألا يفصل عن عمله بل يغيّر فقط مكان عمله أو ترقيته وكأنّه تشجيع على الأعمال الشنيعة التي ارتكبها ومن هنا نجد أن القول بأن "القانون لا يحمي المغفّلين" قد تغيّر وأصبح معناه عكس ما هو معروف أي القانون يحمي المغفلين.

" أخبرني أيضا بأنّه حرّض رقيّة وشريف على سرقة ختم فاتح وتزوير توقيعه لصالح مشاريع بلقاسم "[4] فالأعمال المشبوهة مسّت جميع نواحي حياة الإنسان فالتزوير سمة المشبوهين فالمهم هو إبرام الصّفقات وجمع المال دون الاكتراث إلى كيفية وطريقة جمعها ولو على حساب سجن الأفراد، فالمصالح الشّخصية أولى من كل اعتبار.

د- الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور:

[1]- **الرواية، ص 162.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 191.**

[3]- **المصدر نفسه ، ص 193.**

[4]- **المصدر نفسه ، ص 196.**

إن الواقع اليوم أصبح مخيف، إذ أضحت الشهوات والمخدّرات ملجأ العديد من الأفراد، وهذا ما نجده في الرواية أيضا باعتبار هذه الرواية تساير أحداث العصر وتنقلها " بدأت تصلني أخبار علاقاته الغرامية ولياليه الحمراء مع عشيقاته، أصبح الأمر واضحا لي بشكل مقرف حوّل حياتي إلى جملة نفايات"[1] فهنا مثال عن الشهوات التي يقوم بها: "عيسى" هذه الأفعال الشنيعة لا يمكن السّكوت عنها، فالخيانة لا يمكن تجرّعها بسهولة فما يفعله زوج "جوهر" أمر لا يطاق، إذ أنّه يمضي معظم وقته بالخارج حتى اللّيل يقضيه في أحضان عشيقاته اللواتي لا نستطيع حصرهن فهن كثيرات فهو من عشيقة لأخرى، الأمر الذي جعل "جوهر " تفكّر كثيرا في الانفصال عنه. كما نجد موضع عن المخدرات في قول "جوهر": " كنت أرى في جمعيتي الملاذ الوحيد من عالمه المتعفّن بأصدقائه من تجّار المخدرات، والمهرّبين، والمرتشين، والفاسدين"[2] ففساد "عيسى" لا حدود له فنجد فيه كل المواصفات الشنيعة واللاأخلاقية فالمخدرات والخمور شرابه المفضل ونفس الشيء بالنسبة لأصدقائه فهو يخالط فقد المشبوهين والمهرّبين. " يعود إلى البيت بعد منتصف الليل، رائحة الخمر تغرقه في الوحل"[3] فكل لياليه نفسها كل يوم غائب عن الوعي ويأتي إلى البيت في ساعات متأخّرة وقد لا يأتي فهو أصبح مدمن على المخدرات والخمور.

د- تعدّد الأصوات:

يعتبر التعدّد الصوتي سمة من سمات الحداثة في الرواية، والذي يعني ظهور عدة شخصيات في الرواية كما أنّ السارد يكون فيها متعدّد " الرواية البوليفونية تلك الرواية التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاورة، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية. بمعنى أنها رواية حوارية تعددية، تنحى المنحى الديمقراطي، حيث تتحرر بشكل من الأشكال

[1]- **الرواية، ص 162.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 162.**

[3]- **المصدر نفسه ، ص 164.**

من سلطة الراوي المطلق، وتتخلص أيضا من أحادية المنظور واللغة والأسلوب"[1] وهذا ما وجدناه في هذه الرواية من تعدّد للشخصيات المتحاورة واختلاف في الايديولوجية فالتعدّد واضح، وهذا ما يتبيّن من خلالها بحيث نجد في نصّها أكثر من صوت واحد في سرد الأحداث.

ففي الفصل الأوّل المسمى " **لحظات انعتاق** " نجد أن السّارد هو "فاتح"، فنجده في أوّل الرواية يصوّر لنا أزقة وشوارع المدينة ثم انتقل إلى وصف خالته الياقوت، كما نجد الحوار في نفس الفصل:

- " صباح الخير فاتح.
- صباح الخير.
- تحية تزرع على المدى فاصلة للانتظار، يتمتم إدريس:
- قالوا لنا بأنّ الاجتماع سيكون على الساعة الثامنة، الآن التاسعة إلّا ربع.
- نحن في مجتمع متخلّف، بدوي، الوقت فيه ممتد لا نهاية له.
- قالها شويف، ومنذ يومين فقط رفض المدير تصميمي للقصر وقال:
- نحن تحضّرنا وسكنا المدن وأنت تريد أن تعيدنا إلى القرون الماضية، تريدنا أن نتخلّف، وأن نعود إلى قصور الطوب"[2] فهنا نجد عدّة شخصيات متحاورة والتي هي فاتح وإدريس، والمدير.

كما نجد تعدّد آخر للشخصيات والأصوات " يده المثقلة بإمضاءات لها قدرتها الخارقة على التمزيق أشارت ولأوّل مرّة إلى كائن جميل:

- زميلتنا الجديدة المهندسة سارة.

---

[1]- **جميل حمداوي، الرواية البوليفونية أو الرواية المتعدّدة الأصوات، ع.42177، 2012/03/08.**

[2]- **الرواية، ص 20.**

– مدّت يدها تصافحني، فأعتقت قدمي من ثقل شدّهما إلى الأرض، نهضت، صافحتها مرحبا:

– أهلا بك.

– قطع مصافحتنا رئيس المصلحة وهو يقول:

هذا مكتبك مع فاتح أنت في يد أمينة"[1] وهنا أيضا ظهرت شخصيات أخرى متحاورة وهي سارة وكمال.

كما نجد سارد آخر في هذا الفصل وهو "عيسى" ويظهر وهو يخاطب صورة "فاتح" ويحكي معها أي صورة حياته منذ الطفولة وفي الأخير خاطبه قائلا: " يا لي من مجنون أخاطب صورة لكنني الآن أدرك أنني تفوّقت عليك يا فاتح ".

أمّا في الفصل الثاني المعنون بـ " **المرأة مخلوق بين البشر والملائكة** " فإنّ " فاتح" هو السارد مجددا إذ نجده يصف لنا طعم الصّباح في بيت العائلة إذ تساءل في أعماق نفسه لماذا حكمت على نفسي بسجن انفرادي في تلك العمارة ".

وفي هذا الفصل نجد أيضا الحوار الذي دار بين سارة وفاتح، تساءلت سارة:

– كيف استطاعوا أن يبنوا سورا بهذا الارتفاع في تلك الفترة ؟.

– السر في التويزة، " التويزة " يا سارة تعني التعاون، كانوا يتعاونون ويتكاتفون من أجل تحقيق إنجاز معّين في هذه الحياة"[2] وقد كان لسارة دور كبير في هذا الفصل باعتبارها زوجة "فاتح". بالإضافة إلى عدّة شخصيات ثانوية متحاورة نكتفي بذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر: أمل (ابنة فاتح)، عمي بوفلجة، أم فاتح، عمي عاشور، الأمريكية "نانسي"...إلخ.

---

[1]– **الرواية، ص 25.**

[2]– **المصدر نفسه ، ص 101.**

وفي الفصل الثالث من الرواية الموسوم بـ "**دهاليز الوجع** " نجد أنّ الصوت قد تغيّر فبعدما كان صوتا ذكوريا أصبح الآن أنثويا أو نسويا " جوهر هو الاسم الذي اختارته لي والدتي حبّا في والدتها لالة جوهر رحمهما الله"[1] ثم تنتقل لتحكي لنا تفاصيل حياتها منذ أن كانت طفلة و توفيت والدتها وما عانته مع زوجة أبيها إلى أن غادرت المنزل إلى بيت خالتها أي أمّ " فاتح"، كما أنّ هذا الفصل مخصّص لأوجاعها فبقيت تحكي عن معاناتها مع زوجها "عيسى" وأعماله المشبوهة.

ففي هذا الفصل نجد سارد واحد فقط ولم يتغيّر ونجد فقط الحوار مع زوجها في بعض المواطن " أعاد سؤاله بصوت كالهمس:

- ماذا قلت ؟

- أنا حامل يا عيسى. وانتظرت من عيسى أن يغسل الخبر روحه، أن يحملني ويطير بي فرحا أن نمضي اللّيل محتفلين، لكنّه، قال لي:

- هل أنت متأكّدة ؟

- نعم اليوم زرت الطبيب.

- سأخبر فاتح، يجب أن أخبر فاتح الآن.

أمّا في الفصل الرابع والأخير الموسوم بـ " **فاتحة لغد قادم**" نجد "فاتح " هو السارد في البداية، " توجّهت إلى المؤسسة متأخّرا بساعة تقريبا، لم تعد لي شهية للعمل في غياب سارة التي أخذت عطلة لتريح أعصابها بعد فترة ضغط وقلق "[2].

ثم نجد الحوار في قوله: " مددت يدي مرتعشة، فتحت الحقيبة فوجدت الأوراق المالية مكدّسة فيها، لم أشعر إلّا وأنا أعيد غلقها وأضعها أرضا وسؤال يقذفه حلقي المرتجف:

- ما هذا يا سي مختار ؟

---

[1]- **الرواية، ص 157.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 171.**

تنحنح سي مختار وقال بصوته المبحوح:

- أووه، لا تعقّد الأمور يا فاتح، هذا هو المبلغ الخاص بمشروعك"[1]

ومن ثم فقد تغيّر السّارد ومرّة أخرى تعود " جوهر" إلى السّرد " كلّما كبر عمر، كلّما أحسست بأنّ عينيه تتحدّثان أكثر من لسانه"[2] وفي هذا الفصل مزيج من الشخصيات فنجد " سارة "، " عيسى"، " شريفة"...إلخ ثم يعود فاتح إلى السّرد مرّة أخرى " تهاويت لحظتها لا أقوى على الحراك، ومرارة الخيبة تمزّقني، ربّما أحسن سي مختار برحيله، لن يفجع في فشل مشروعي"[3]

"الرواية البوليفونية رواية منفتحة قائمة على تعدد الخطابات، وتفاعل الأجناس الأدبية والفنية، وتلاقح اللغات واللهجات؛ مما يجعل هذه الرواية تستجمع جميع الأصوات واللغات واللهجات الاجتماعية، لتعبر بكل حرية وديمقراطية عن وجهات نظرها ، مع حضور المؤلف الوهمي الذي يتنازل بشكل من الأشكال عن سلطته لراوي الرواة، أو يتنازل للسراد المتعددين، أو يتنازل للشخوص لتعبر عن عوالمها الداخلية ومواقفها تجاه الموضوع"[4] ومن هنا يتبيّن لنا أن " رواية" الخابية تتوفّر على سمة تعدّد الأصوات التي تتسم بها الرواية الحداثية.

ه- التناص:

يعد التناص من السمات الحداثية في الرواية وهذا ما نجده في رواية الخابية فالكاتبة أوّل ما استهلّت به روايتها هو هذه الخاصية " لماذا تركت الحصان وحيدا ؟

- لكي يؤنس البيت، يا ولدي،

فالبيوت تموت إذا غاب سكانها.

---

[1]- **الرواية، ص 176.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 181.**

[3]- **المصدر نفسه ، ص 219.**

[4]- **جميل حمداوي، الرواية البوليفونية أو الرواية المتعدّدة الأصوات، المرجع نفسه.**

محمود درويش"[1] .

هذا التناص يمثل له بـ " التفاعل النصي العام الذي يبرز فيما يقيمه نص ما من علاقات مع نصوص عديدة مع ما بينها من اختلاف على صعيد الجنس والنوع والنمط" فالرواية نثر والقصيدة شعر إذن هناك اختلاف في الجنس والنوع والنمط"[2].

كما نجد تناص آخر عند قول الكاتبة:

" هنا المدينة العظمى، وهل لك أن تظفر منها بشيء ؟

إنّ عليك أن تفقد فيها الكثير...

نيتشه من كتابه: " هكذا تكلم زرادشت"[3] وهنا نجد الاقتباس من جنس واحد أي من الرواية.

ونجد تناص في الرواية في قول الساردة: " فكرة سارة ذاتها منذ سنوات جبران خليل جبران في أحد كتبه ذكر بأنّ الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محوّلين الصّالح منه إلى كيانهم الغربي، أمّا الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه

ولكنّه لا يتحوّل إلى كيانهم، بل يحوّلهم إلى شبه غربيين، وهي حالة أخشاها وأتبرّم منها لأنها تبيّن لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه وطورا كطفل بدون أضراس"[4]

هناك أيضا التناص من الشعر الشعبي في قولها:

"ياربي تعفو علينا

قدّمنا لك جاه نبينا.

---

[1]- **الرواية، ص 7.**

[2]- **حسي مرزاني، التناص الأدبي و مفهومه في النقد العربي الحديث، المرجع السابق.**

[3]- **الرواية، ص 7.**

[4]- **المصدر نفسه ، ص 116.**

لا شمعة ولا قنديل.

غير ضوك يا لحنين"[1] .

و هناك موضع آخر للتناص في قول الساردة: "وضع سي مختار الكتاب وهو يتحدّث عن بطل الرواية الذي يشبهه، فلقد تتبّع خطى الساحرات وذهن جلده بمهرهم ليصير طائرا فتحوّل إلى حمار"[2] وهنا إشارة إلى السرد (الحكي) " نعني بالتناص السردي كل ما يتعلّق بالحكي أو له علاقة بموضوع سرد الأساطير والحكايات الخرافية والقصص الشعبية"[3] وهذا ما نجده عند حكاية سي مختار عن الحمار الذهبي و قصة تحوله إلى حمار بدلا من طائر وهذه الأسطورة مأخوذة من أوّل واية في التاريخ للوكيوس أبوليوس.

[1]- **الرواية، ص 165.**

[2]- **المصدر نفسه ، ص 174.**

[3]- **سعيد سلاّم، التناص التراثي(الرواية الجزائرية أنموذجا)، المرجع السابق، ص 140**

خاتمة:

بعد انجازنا لهذا البحث توصّلنا إلى النتائج الآتية:

1- يعتبر مصطلح الحداثة من المفاهيم التي عرّفتها المعاجم العربية منذ القرن الثاني الهجري – الخليل ابن أحمد الفراهيدي – وقد اتّفق معظمها على معنى: الجدة والابتكار والاتيان بشيء لم يكن معروفا من قبل.

2- عُرفت الحداثة كمصطلح عند الغرب وقد اختلفت الكتب في سنة ظهورها، كما اختلفت في وضع تعريف محدد لها، غير أنّها ارتبطت بالنّهضة الأوروبية وما أحدثته من تغيرات على جميع مناحي الحياة، ومنها الحياة الأدبية، وقد ظهرت بدقة في أعمال الرمزيين الفرنسيين: " بودلير"، " رامبو"، و"ملارميه "، وارتبطت عندهم بالغموض والسحر والتخييل والشعوذات، وكل ما من شأنه أن يبعد بالإنسان عن عالم الواقع الذي يسوده الخوف والقلق والانحطاط، انحطاط الحضارة الغربية.

3- الحداثة وليدة تراكم حضارات عديدة مرّ بها العالم الغربي منذ الإغريق إلى عصر النّهضة، مما جعل تحديد مفهومها صعبا، الذي يدل على تشابك الفكر الغربي وصعوبة فصل بعض أجزائه، فالحداثة إذن جزء لا يتجزّأ من حضارة هذه الأمّة.

4- انتقال مصطلح الحداثة إلى الأدب العربي بغموضه وتعقيداته، وتبنيه من قبله كما هو دون تغيير أو إصلاح، ولهذا تعدّدت مفاهيمه التي استندت إلى رؤى شخصية، مما أدى إلى ظهور تيارين متصارعين، تيار معاد للحداثة الغربية، وتيار آخر موافق ومناصر وبرز تيار ثالث معادل يحاول التّوفيق بينهما.

5- حسب (أدونيس) فإن أهم ما يميّز الحداثة الغربية عن الحداثة العربية هو تحرّرها من أيّ مرجعيّة دينية وإيمانها بقدرة الانسان على التغيير وعلى الابداع ونشرها للفكر النّقدي إذ أنّها دنيوية، أمّا الحداثة العربية فإنّ أهم ما يميّزها سيطرة النظام الايديولوجي وتهميش الذّات وهي على العموم دينية.

6- التمييز بين مصطلحا "الحداثة و"التحديث" و" النهضة" ، بحيث أنّ الأولى تعني الابتكار والانتاج والتصنيع أما الثاني فهو استيراد تلك المخترعات والابتكارات، أمّا النّهضة فهي المرحلة التي تسبق الحداثة، فلكي نصل إلى الحداثة لابد لنا من المرور بالنهضة أوّلا.

7- استنتاج العائق الفعلي والأوّل الذي أدّى إلى تأخّر الحداثة في العالم العربي والذي يكمن في طبيعة الفكر السّائد والثقافة المهيمنة في المجتمعات العربية التي ترفض كلّ تحوّل أو تغيير في بناها الأساسية.

8- استنباط أن العقل هو المؤسّس الأوّل للحداثة عند الكثير من المفكّرين لاتّسامه باليقين والمصداقية.

9- الثورة والقمع والتنديد هي سمة الحداثة سواء على القديم أم على الطبيعة أو على الكون أو حتى ذات الانسان في حد ذاته.

10- تعدّد الأصوات الذي غيّبته الرواية القديمة نجده حاضرا بقوّة في الرواية الحديثة فهو يشكّل احدى سماتها الأساسية.

11- أن عملية التناص تُبقي سلطة النص حاضرة في النصوص الآحقة التي تم إنشائها على المنوال الذي كُتب به النص الأوّل اي عدم استقلالية النص الجديد.

12- الهدف من توظيف التناص هو التعمق في البحث عن الكيفية التي تتحرّك بها هذه النصوص في النص الاحق.

13- بالتناص تتوسّع دائرة المعارف و هذا يحدث عند قراءة نص متناص مع نصوص أخرى فيعود القارئ إلى النص السابق في النصوص الاحقة للبحث عن المصدر الأصلي و بذلك يتعرّف على موروثه القديم و اكتشاف أشياء جديدة لم يكن يعرفها سابقا.

14- تكمن قيمة التناص في إداك قيمة العمل الجديد إذ أن العمل الفني يُدرك بقيمته مع الأعمال الفنية الأخرى.

المصادر:

جميلة طلباوي، الخابية، متسع لذاكرة المكان، منشورات ANEP، 2014.

المعاجم:

ابن منظور، لسان العرب، ج2، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990.

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 3، دار الفكر، بيروت لبنان، 1994.

عبد النور جبور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين بيروت، 1979.

مراد وهبة، المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، الجزائر، 2003.

الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، 1998.

الفراهيدي، كتاب العين،ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

الكتب باللّغة العربية:

برهان غليون، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

سعيد سلّام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، 2010

عبد الملك مرتاض، في نظرية النّقد، متابعة لهم المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، بوزريعة، الجزائر،2002.

محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياتها وابدالاتها (مساءلة الحداثة) 4، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.

محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 1998.

محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2000.

محمد محفوظ، الاسلام ن الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب،1998.

محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992.

كتب مترجمة:

آلان تورين، نقد الحداثة، تر.أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة، 1992.

مقالات باللّغة العربية:

جميل حمداوي، الرواية البوليفونية أو الرواية المتعدّدة الأصوات، ع.42177، 2012/03/08.

حسي مرزاني، التناص الأدبي ومفهومه في النّقد العربي الحديث، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 2011/09/06.

عبد الله تركماني، أسس الحداثة ومعوّقاتها في العالم العربي المعاصر، الحوار المتمدن، ع 2763، 2009/9/8.

محبوبة بادرستاني، نشأة الرواية المعاصرة في ظل نجيب محفوظ، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 2010/10/16.

مقالات مترجمة:

فابيو كاياني–، تر. سهيل نجم، جامعة القديس اندروس، تعدد الأصوات والصوت السردي في رواية الرجع البعيد لفؤاد التركلي ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

المجلات:

محمد محفوظ، مفهوم الحداثة، قراءة تاريخية، الكلمة، مجلة ثقافية إسلامية تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت لبنان، ع15، 1997.

الرسائل والمذكرات:

منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص: النقد العربي ومصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة،2012 /2013.

الانترنيت:

إبراهيم محمد جواد، «الحداثة في الفكر والأدب»، ص 7 الموقع:
http://albasaer.org/index.php/post/156 تاريخ التصفح: 2016/04/20

باقري سوسن، الرواية العربية الحديثة: نشأتها، تطوّرها، مستخرج من رسالة ماجستير آزاد الإسلامية في كرج. الموقع:

ttp://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=25310
تاريخ النشر: 2010/10/12 تاريخ التصفح: 2016/04/25.

زايد أحمد محمد، خصائص الحداثة، سلسلة في مواجهة الاسلام (تيار الحداثة)، صيد الفوائد على الموقع: https://saaid.net/mktarat/almani/70-7.htm، تاريخ التصفح: 2016/05/15.

مقدمة.....04
مدخل.....08
مصطلح الحداثة.....07
1- مفهوم الحداثة.....08
أ- لغة.....08
ب- اصطلاحا.....09
2- الحداثة عند الغرب.....11
3- الحداثة عند العرب.....12
الفصل الأول: قضايا الحداثة..... 17
1- الحداثة والتحديث.....18
2- الحداثة والنهضة.....19
3- معوّقات الحداثة العربية.....20
4- الحداثة في الأدب.....22
5- أسس الحداثة.....28
6- سمات الحداثة.....32
الفصل الثاني: تجليات الحداثة في الخابية.....35
1- تمهيد.....36
- تقديم الكتاب.....38
التعريف بالمؤلف.....38
3- ملخص الرواية.....41
4- الثورة على القديم وتحطيم جميع أطر الماضي.....44
5- الحيرة والشك والقلق والاضطراب.....46
6- تمجيد الرذيلة والفساد.....47
7- الهروب من الواقع إلى الشهوات و المخدر ات والخمور....50
8- تعدّد الصوات.....50
9- التناص.....54
الخاتمة.....56
قائمةالمصادر والمراجع.....60
فهرس.....64